كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟

المعاني الأخلاقية المستوحاة من العيد

من خطب سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

المقدمة

معنى قولنا عيدكم سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على أشرف خلقه وأكرمهم أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أهمية السعادة:

السعادة: حلم كل الناس والهدف الذي تسعى إليه البشرية، ولذلك كان كل اهتمام الأنبياء والرسل والفلاسفة والمفكرين والعلماء هو الوصول إلى ما تتحقق به السعادة، ونحن حينما نتبادل التهاني في العيد، يدعو بعضنا لبعض: (أسعد الله أيامكم) وإن كنا نحن في العراق نقولها وقلوبنا تعتصر ألماً لما يمرُّ به شعبنا من قتل ودمار ونقص مريع في الخدمات الأساسية، وانتشار الفقر والبطالة والمرض والجهل والفساد وأمثالها من الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي تنخر بنية المجتمع وتدمره إلا من عصم الله تعالى.

ولا زالت دماء الضحايا والأبرياء لم تجف بعد في بغداد والبصرة والكوت وكربلاء والأنبار وغيرها من المدن العراقية المحرومة المنكوبة. وقد مرّت ستة أشهر على الانتخابات من دون تحقيق خطوة تذكر لتشكيل الحكومة، والزعماء السياسيون منهمكون بالصراع على السلطة وغنائمها وامتيازاتها.

وأقل من هذه البلاءات بكثير دفعت شاعراً مثل المتنبي إلى القول:

عيدٌ بأيّـةِ حالٍ عُـدتَ يـا عيـدُ بما مضى أم بأمرٍ فيكَ تجديدُ

ويوجد اليوم في الكتّاب والمثقفين من يخاطب العيد بقول المتنبي، ويسخر ممن يقول (أيامك سعيدة) و(أسعد الله أيامكم) مع أنها كلمات دعاء وطلب من الله تعالى بجعل أيام العمر سعيدة وهانئة وليست إخباراً عن الواقع المعاش حتى يجد البعض أنها غير لائقة وغير منطبقة على هذا الواقع المؤلم.

الفوز الحقيقي:

وأين المتنبي وأمثاله من سمو أهل البيت عليهم السلام وحياتهم السعيدة وهم الذين لم يؤذَ أحدٌ كما أوذوا، انظروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام يسقط مضرجاً بدمائه في محراب مسجد

الكوفة وهو يقول: «فُزتُ وربّ الكعبة»، والإمام الحسين عليه السلام يقول وهو يرى جمع الأعداء كالسيل وقد يبلغوا عشرات الآلاف وهو وأصحابه لا يتجاوزون المائة يقول عليه السلام: «ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»[1].

والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يشكر الله تعالى وهو في قعر السجون وظلمات المطامير ويقول «إلهي طالما طلبت منك أن تفرّغني لعبادتك وقد فعلتَ».

روى صَالِحِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: «دَخَلْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ أَرَادُوا إِطْفَاءَ نُورِكَ وَالتَّقْصِيرَ بِكَ حَتَّى أَنْزَلُوكَ هَذَا الْخَانَ الْأَشْنَعَ خَانَ الصَّعَالِيكِ.

فَقَالَ: هَاهُنَا أَنْتَ يَا ابْنَ سَعِيدٍ، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ فَقَالَ انْظُرْ فَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرَوْضَاتٍ آنِقَاتٍ وَ رَوْضَاتٍ نَاضِرَاتٍ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ عَطِرَاتٌ وَ وِلْدَانٌ كَأَنَّهُنَّ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ، وَأَطْيَارٌ وَ ظِبَاءٌ وَ أَنْهَارٌ تَفُورُ فَحَارَ بَصَرِي وَ الْتَمَعَ وَ حَسَرَتْ عَيْنِي وَ قَالَ حَيْثُ كُنَّا فَهَذَا لَنَا عَتِيدٌ وَ لَسْنَا فِي خَانِ الصَّعَالِيكِ»[2].

(١) بحار الأنوار: ١٩٢/٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٠٢/٥٠ رواها الشيخ المفيد والكليني (رضوان الله عليهما).

السعادة في رحاب الله تعالى:

إنها الحياة السعيدة في رحاب الله تبارك وتعالى التي تشغله عن كل شيء ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨) فاطمئنان القلب الذي هو علامة السعادة يتحقق بأن تجعل الله تعالى محور حركاتك وسكناتك وهدفك الذي تسعى إليه، ولا تنال تلك السعادة إلا بالتقوى؛ لذا يعلمنا الأئمة عليهم السلام أن نطلبها في الدعاء كما طلبوها لأنفسهم، من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «اللَّهُمَ اجْعَلْنِي أَخْشَاكَ كَأَنِّي أَرَاكَ، وَأَسْعِدْنِي بِتَقْوَاكَ».

فالسعادة الحقيقية هي الفوز بالجنة وهي ثمرة التقوى والعمل بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:١٠٨).

الفصل الأول

كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟

كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟[1]

هر رمضان سبب للخيرات والبركات:

بالأمس فارقنا صاحب عزيز علينا، وهو شهر رمضان، وليس من حسن الصحبة أن يفارقنا بلا وداع، فقد أقام فينا هذا

---

(١) من خطبتي صلاة عيد الفطر التي أقيمت في مسجد الكرامة في النجف الأشرف لسنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، بإمامة الشيخ محمد اليعقوبي (دامت بركاته).

بدأهما بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى بما هو أهله، والصلاة والتسليم على سيد خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، بنصوص مقتبسة من الصحيفة السجادية، ودعاء الافتتاح، ثم قرأ آية للموعظة، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:١٨-١٩) ونبه إلى أن نسيان الله تبارك وتعالى يكون بنسيان السبل الموصلة إليه وعدم الالتزام بها، ومنها الحضور في المسجد، ليس هذا المسجد فقط بل عموم المساجد، فعدد الحاضرين لم يتجاوز ثلاثمائة مصلٍّ رغم أنه يتوسط أحياء سكنية تضم آلاف المسلمين:- ثم حرّر هذا العيب الاجتماعي في كتاب مستقل بعنوان (شكوى المسجد). وبعدها استهل الحديث وكما هو مثبت في الكلمات الموجودة في المتن.

الشهر مقام حمد وصحبنا صحبة مبرورة، وكان سبباً لكثير من البركات والخيرات ومنها:

١. إنه الداعي، أي المبلغ لبطاقة الدعوة، إلى ضيافة الله سبحانه، فكنا ضيوفاً عنده تبارك وتعالى شهراً كاملاً، ولك أن تقدر وتتصور شرف وكرامة هذه الضيافة بمقارنتها بالضيافة الدنيوية فيما لو دعاك المرجع الديني مثلاً أو شخصية مرموقة في المجتمع لضيافته، وماذا كانت العطايا على مائدة الضيافة؟ «أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ وَ نَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ وَ عَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ وَدُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ...» إلى آخر ما ذكر النبيﷺ في خطبته.

٢. إن هذا الشهر قد أربحنا أفضل أرباح العالمين؛ فإن التجارة مع الله سبحانه أربح التجارات، فهي أولاً لا تبور بل خالدة دائمة، ويصفها تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ (البقرة:٢٦١)، فالواحد بسبعمائة ضعف، ثم يقول عز من قائل: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾، وفي شهر رمضان تتضاعف هذه الأرباح بما لا يحصيها إلاّ الله سبحانه، فهنيئاً لمن استثمر ساعات عمره في اكتساب الحسنات وعمل الخيرات، ومن هذه الأرباح ما قالهﷺ: «وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ

بِصَلَاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ ـ وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرْضاً كَانَ لَهُ ثَوَابُ مَنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ثَقَّلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخِفُ الْمَوَازِينُ وَ مَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ ـ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُور»

٣. إن فرص الطاعة تزداد في هذا الشهر لتصاعد الهمم وزيادة الرغبة في عمل الخير، فتجد أحدنا يحب أن يصلي المستحبات أو يزور المعصومين عليهم السلام خصوصا الإمام الحسين عليه السلام.

وآخر يحب الإطعام، وآخر يكثر من تلاوة القرآن أو الدعاء بشكل لا يشابهه شيء في بقية الشهور ببركة هذا الشهر العظيم.

قلة المعصية في شهر رمضان:

إن فرص المعصية تقلّ في هذا الشهر وسببه واضح لأن مناشئ المعصية هي الغرائز والشهوات للنفس الأمارة بالسوء، وفي هذا الشهر تخمد هذه الشهوات وتقلل بشكل كبير، لأن الإنسان يمتلك الإرادة في هذا الشهر على ترك المحلل من الطعام والشراب والنكاح، فكيف لا يكون قادراً على اجتناب المحرمات، لذا تجد المجتمع يبتعد عن المعاصي بشكل

ملحوظ، فالسافرة تتحجب وتارك الصلاة يصلي والذي يطفّف في الميزان يترك هذا الفعل الشنيع والمعتاد على الكذب أو الغيبة والنميمة والنفاق يتركهما ويقول: «إني صائم».

وإلى هاتين النقطتين أشار صلى الله عليه وآله فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَبْوَابَ الْجِنَانِ ــ وهي على بعض التفاسير نفس الطاعات والأعمال الصالحة على القول بتجسم الأعمال ــ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفَتَّحَةٌ فَسَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُغَلِّقَهَا عَلَيْكُمْ، وَأَبْوَابَ النِّيرَانِ ـ وهي السيئات والمعاصي بنفس التفسير السابق ــ مُغَلَّقَةٌ فَسَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُفَتِّحَهَا عَلَيْكُمْ وَ الشَّيَاطِينَ مَغْلُولَةٌ فَسَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ».وبهذا التفسير نفهم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان بين أصحابه يوماً فسمع هدّة عظيمة أفزعت الخليقة، فسئل عن ذلك صلى الله عليه وآله فقال: هذا رجل عمره سبعين سنة قضاها في المعاصي، فهو طول هذه المدة يهوي في جهنم بارتكابه المزيد من المعاصي حتى مات فاستقرَّ في قعر جهنم التي أعدها لنفسه.

فقرات دعاء الإمام السجاد عليه السلام:

لنطلع على المزيد من النعم التي من الله تبارك وتعالى علينا بها في هذا الشهر الشريف: «السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرٍ

رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَ قَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ. السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَ صَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الإِحْسَانِ السَّلامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عُتَقَاءَ اللَّهِ فِيكَ، وَ مَا أَسْعَدَ مَنْ رَعَى حُرْمَتَكَ بِكَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلذُّنُوبِ، وَ أَسْتَرَكَ لأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ السَّلامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَ أَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لا تُنَافِسُهُ الأيام: السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ السَّلامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحَبَةِ، وَ لا ذَمِيمِ الْمُلابَسَةِ السّلامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدْتَ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَ غَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ السَّلامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ بَرَماً وَلا متروك صِيَامُهُ سَأَماً. السّلامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَ مَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ فَوْتِهِ. السَّلامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا، وَ كَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا، السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك وأشد شوقنا غداً إليك، السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه وعلى ماضي من بركاتك سلبناه».

الفهم الصحيح للعيد:

كثيراً من الناس لا يعي ولا يفهم معنى العيد بالشكل الصحيح كما يريده الله سبحانه وتعالى، فإنه يفهمه على أنه

إيذان بانتهاء الحظر والمنع الذي فرض على ممارسة مشتهيات النفس بالحلال أو حتى بالحرام والعياذ بالله، فتراهم يتسامحون في أمر الدين ويتساهلون في تعاليمه، فيحصل الاختلاط بين الجنسين أثناء زيارات الأقرباء، وتضع النساء الزينة أمام غير المحارم، وربما جرت عادة بعض الناس على مصافحة النساء والرجال، أو التساهل بأمر الحجاب باعتبار أن الأيام أيام فرح وسرور، ويقصد بعضهم أماكن اللهو واللعب وحفلات الفسق والفجور ويشاهدون البرامج الفاسدة، وكأنَّ معنى العيد هو العودة إلى الحياة السابقة قبل شهر رمضان بكل ما تتضمنه من ابتعاد عن الله سبحانه، ويتخلى عن كل التقدم والتقرب إلى الله سبحانه الذي حققه في شهر رمضان، ويغفل عن الحديث النبوي الشريف: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو ملعون»، فهل حاسبنا أنفسنا لنرى من أي هذه الأصناف نحن، من هنا وجب علينا أن نبين بعض النقاط التي ينبغي الالتفات إليها في مثل هذه المناسبة الشريفة:

١. إن العيد يمثل الوصول إلى الهدف الحقيقي، وهو نيل رضا الله سبحانه، باعتبار أن المؤمن يمرّ بتربية ومعاناة طويلة خلال الشهر من خلال ما يؤديه من طاعات، ويزداد

تركيز هذه التربية في العشر الأواخر التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله فيها يطوي فراشه ويشدُّ مئزره للعبادة، وتتضمن ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فيأتي العيد تتويجاً لهذه المرحلة المضنية، حيث يمثل بلوغ الهدف والنهاية لهذه المرحلة من التربية والتكامل ويكون مستعداً لقبول المرحلة التالية من التكامل، باعتبار أن مراحل التكامل والتقرب إلى الله تبارك وتعالى لا نهائية، قال تعالى: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٢١)، فإذا كان هذا معنى العيد، فكيف يرجع الإنسان القهقرى وينزل إلى المراحل التي تجاوزها بعد جهد وجهاد طويلين.

٢. إن من حق الناس أن يفرحوا بالعيد لكن فرحهم مع الأسف لأسباب دنيوية، فهو يفرح لإباحة الطعام والشراب والنكاح ولإزالة الموانع التي كانت مفروضة عليه في شهر رمضان، وكان المفروض عليه أن يحزن لفوات تلك البركات والنعم التي كان شهر رمضان سبباً لنزولها على العباد والتي ذكرنا بعضها في الخطبة السابقة، لذا قال الإمام السجاد صلى الله عليه وآله في دعائه: «فَنَحْنُ مُوَدِّعُوهُ وِدَاعَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَ غَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا انْصِرَافُهُ عَنَّا»، وقال عليه السلام: «السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً، وَمَرْجُوٍّ آلَمَ فِرَاقُهُ».

الفرح والحزن للأسباب الأخروية:

والفرح الدنيوي ـ أعني ما كان لأسباب دنيوية كربح تجارة أو رزق مولود أو زيادة أموال أو تحصيل جاه أو منصب اجتماعي ـ مذموم عند الله تبارك وتعالى، لأنه لا يصبُّ في الهدف الحقيقي، قال تعالى في قصة قارون: ﴿لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: ٧٦)، وكان فرحه لأن الله آتاه ثروة طائلة وصفها تبارك وتعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص:٧٦)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد:٢٣)، وقد يؤدي هذا الفرح إلى البطر والاختيال والطغيان فيكون وبالا، كما حصل لقارون إذ كانت نتيجته ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص: ٨١-٨٢).

وكذا الحزن بفوات أمور دنيوية مذموم، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْلا تَأْسَوْا

عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ (الحديد: ٢١-٢٢).

والصحيح أن يكون الفرح للأسباب الأخروية، فتفرح إذا وفقك الله تعالى لصلاة الليل، أو زيارة قبر الحسين عليه السلام، أو قضاء حاجة أخيك المؤمن، وتفرح إذا انتصرت على نفسك[1]، مثلاً حصل سوء تفاهم بينك وبين أخيك المؤمن، فإن نفسك تستكبر وتنتظر من ذلك الطرف أن يأتي ويعتذر، فتنتصر عليها وتذهب أنت إلى أخيك وتعتذر إليه، أو تمر بك امرأة جميلة قد ظهرت بعض مفاتنها فتدعوك نفسك إلى النظر إليها، فتعصيها وتنتصر عليها بترك النظر إلى تلك المرأة، عندئذ ستشعر بلذة وسعادة في قلبك تكون منشأ لفرح حقيقي ومحمود عند الله تبارك وتعالى.

وأنتم بحضوركم إلى هذا المسجد المبارك وإقامتكم لهذه الشعيرة المقدسة في حين راح غيركم يمرح ويلعب ويلهو إنما تعيشون فرحاً حقيقياً، لأنكم في طاعة الله سبحانه وفي رحاب بيته.

وكذا الحزن لا بدَّ أن يكون لفوات شيء كان يمكن أن يستغل لتحقيق المزيد من القرب إلى الله تعالى، كانتهاء شهر رمضان الفرصة العظيمة لنيل رضا الله سبحانه.

(١) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَغْلَبُ النَّاس مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ».

١. إن يوم العيد يعتبر زمان إعلان النتائج لامتحان شهر رمضان ـــ فإذا امتثل الإنسان لأوامر الله سبحانه وأدى التكاليف بالصورة التي ترضي الله سبحانه فهو من الناجين الفائزين، وإن لم يفعل ذلك فهو والعياذ بالله من الأشقياء الذين وصفهم رسول الله ﷺ في خطبته فقال ﷺ: «فَإِنَّ الشَّقِيَ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ».

فمن حق الفائزين أن يفرحوا بنجاحهم في هذا الامتحان الكبير، ولكن هؤلاء الفرحين الذين يلهون ويلعبون ويضحكون في العيد هل اطلعوا على النتائج فوجدوا أنفسهم من الناجين؟ أم أخبرهم ثقة عن الله تبارك وتعالى أنهم في قائمة الفائزين؟ كل هذا لم يحصل، فكيف جاز لهم الفرح وهم لا يعلمون بالنتائج، فالإنسان الواعي يكون في حذر وتوجس عند انتهاء شهر رمضان، لأنه لا يدري هل كتب اسمه في ديوان المحسنين فيفوز أو في ديوان المسيئين والعياذ بالله فيهوي ويسقط.

٢. إن الله تعالى قد جعل أزمنة شريفة وأمكنة مباركة ليزيد في إحسان المحسنين، فمن الأزمنة ليلة الجمعة ويومها، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، والعيدين ونحوها، ومن الأمكنة المباركة المساجد عموماً، والأربعة منها خصوصاً،

ومراقد المعصومين عليهم السلام بل سائر الأولياء والصالحين، كل ذلك لكي يضاعف لهم الحسنات أضعافاً كثيرة، فالمفروض أن يستغل الإنسان هذه الفرصة ويزداد من الطاعات، وإذا أضاعها ولم يستغلها فضلاً عما لو شغلها باكتساب المعاصي والآثام والعياذ بالله فسيكون وبالاً عليه، لذلك تجد الأئمة عليهم السلام حشدوا لمثل هذه المواسم الشريفة أعمالاً ومستحبات من دعاء وزيارة وصلاة وذكر وغيرها، فلا ينبغي هدر هذه الفرصة الثمينة.

٣. إن الله سبحانه قد حدد شرط قبول الأعمال وهو التقوى، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٣٧)، فهل هذه الممارسات التي تصدر من هؤلاء الناس هي من صفات المتقين؟ كلا بالتأكيد، فهم إذن ليسوا ممن تقبل أعمالهم، وهم بحاجة إلى البكاء والندم والاستغفار بدلا من الفرح والسرور، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أعمالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (الكهف: ١٠٣-١٠٤) ويقول تعالى في جزائهم وعاقبتهم: ﴿فَحَبِطَتْ أعمالهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ (الكهف: ١٠٥) وفي دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة: «إِلهِي كَمْ مِنْ طاعَةٍ بَنَيْتُها وَحالَةٍ شَيَّدْتُها هَدَمَ اعْتِمادِي

عَلَيْها عَدْلُكَ بَلْ أقالَنِي مِنْها فَضْلُكَ» وهكذا نحن فإن كثيراً من الطاعات التي نتصور حسن الجزاء عليها حينما توزن بميزان العدل الإلهي تجدها بلا قيمة، بل الأمر أدهى من ذلك، فإنها تكون عبارة عن تقصير واستخفاف بمقام الربوبية، فبدلاً من الاعتماد عليها، صرنا نطلب من الله تبارك وتعالى أن يتفضل علينا بعدم المؤاخذة عليها.

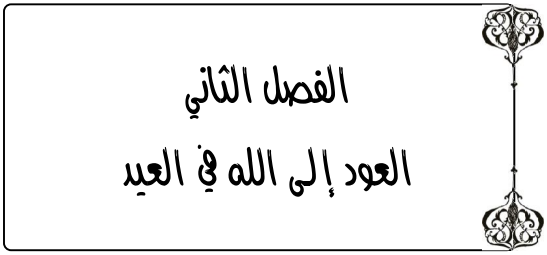

الفصل الثاني
العود إلى الله في العيد

العود إلى الله في العيد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

كيف نخاطب اللّه تعالى؟

افتتح سماحة الشيخ الخطبة بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على نبيه وآله الطاهرين، وابتدأ الخطبة بقراءة نص من مناجاة الشاكرين للإمام السجاد عليه السلام، وقال تعليقاً على ذلك: إنه لولا أن الله تعالى والمعصومين عليهم السلام علّمونا كيف نخاطب الله تبارك وتعالى لما أمكننا ذلك، فإنك ترى في مقاييس أهل الدنيا أن صاحب الموقع الفلاني لا يمكن مخاطبته إلا وفق السلّم الفلاني، فكيف برب العزة والجلال؟!

وقد ركّز في الدعاء على قول الإمام عليه السلام «فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلى شُكْرٍ؟ فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الحَمْدُ» ففي هذا تربية عظيمة وبيان لجانب من حقيقة العبودية، لكيلا يسقط

(١) خطبة ألقيت في صلاة الظهرين يوم عيد الأضحى المبارك ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢/٢/٢٣م في جامع حي الغدير في النجف الأشرف.

الإنسـان فـي مسـتنقع (الأنـا)، فيعجـب بنفسـه وبعمله ويطغـى ويستكبر، فإذا استوعب هذا الدرس علم أنه لا شيء.

وتوخياً للفائدة العامة وللتركيز على المعنى الـذي أراد الشـيخ اليعقـوبي إيصـاله إلـى أذهاننـا أذكـر الـنص الكامـل للمناجاة.

«إلِهي أذْهَلَني عَنْ إقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَأَعْجَزَني عَنْ إحْصاءِ ثَنائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَني عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوائِدِكَ، وَأعْياني عَنْ نَشْرِ عَوارِفِكَ تَوالِي أيادِيكَ، وَهذا مَقامُ مَنْ اعْتَرَفَ بَسِبُوغِ النَّعْماءِ وَقابَلَها بالتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلى نَفْسِهِ بالآمالِ وَالتَّضْيِيعِ، وَأنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمِ البَرُّ الكَرِيمُ الَّذِي لا يُخَيِّبُ قاصِدِيهِ وَلا يَطْرُدُ عَنْ فِنائِهِ آمِلِيهِ، بِساحَتِكَ تَحُطُّ رِحالُ الرَّاجِينَ، وَبِعَرْصَتِكَ تَقِفُ آمالُ المُسْتَرْفِدِينَ، فَلا تُقابِلْ آمالَنا بِالتَّخْيِيبِ وَالإياسِ، ولا تُلْبِسْنا سِرْبالَ القُنُوطِ وَالإبْلاسِ، إلِهي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ آلائِكَ شُكْرِي، وَتَضاءَلَ فِي جَنْبِ إكْرامِكَ إيَّايَ ثَنائِي وَنَشْرِي، جَلَّلَتْني نِعَمُكَ مِنْ أنْوارِ الإيمانِ حُلَلاً، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطائِفُ بِرِّكَ مِنَ العِزِّ كِلَلاً، وَقَلَّدَتْني مِنَنُكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْني أطْواقاً لا تُفَلُّ، فَآلاؤكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِسانِي عَنْ إحْصائِها، وَنَعْماؤكَ كَثِيرَةٌ قَصُرَ فَهْمِي عَنْ إدْراكِها، فَضْلاً عَنْ

اسْتِقْصائِها، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إلى شُكْرٍ؟ فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الحَمْدُ.

إِلهِي فَكَما غَذَّيْتَنا بِلُطْفِكَ وَرَبَّيْتَنا بِصُنْعِكَ، فَتَمِّمْ عَلَيْنا سَوابِغَ النِّعَمِ، وَادْفَعْ عَنَّا مَكارِهَ النِّقَمِ، وَآتِنا مِنْ حُظُوظِ الدَّارَيْنِ أَرْفَعَها وَأَجَلَّها عاجِلاً وَآجِلاً، وَلَكَ الحَمْدُ عَلى حُسْنِ بَلائِكَ وَسُبُوغِ نَعمائِكَ، حَمْداً يُوافِقُ رِضاكَ وَيَمْتَرِي العَظِيمَ مِنْ بِرِّكَ وَنَداكَ، يا عَظِيمُ يا كَرِيمُ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

أصل كلمة العيد:

أصل كلمة العيد من العود، وقلبت الواو ياءً، فالعيد يحمل معنى العود والرجوع إلى الله تبارك وتعالى، فيوم العيد يكون من أيام الله تعالى التي قال فيها عزّ من قائل ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأيام اللّهِ﴾ (إبراهيم:٥)، لذا حشد الأئمة عليهم السلام لمثل هذه الأيام عدداً من الأعمال الصالحة، كالصلاة والدعاء والذكر، ليُعبّئوا الإنسان ـ خصوصاً في أيام الأعياد وبقية الأزمنة الشريفة ـ لله وحده، وأنت تقرأ في ضمن أدعية الأعياد: «اللّهُمَّ مَنْ تَعَبَّأَ وَتَهَيَّأَ وَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ لِوِفَادَةٍ إلى مَخْلُوقٍ رَجَاءَ رِفْدِهِ وَطَلَبَ نائِلِهِ وَجائِزَتِهِ، فَإِلَيْكَ يارَبِّ تَعْبِيَتِي وَاسْتِعْدادِي رَجاءَ عَفْوِكَ وَطَلَبَ

نائِلِكَ وَجائِزَتِكَ»، من هنا كان للعيد معنى غير ما يفهمه عامة المجتمع ويسيئون به إلى أنفسهم وإلى دينهم ويسخطون به خالقهم، فالعيد الحقيقي كما عرّفه أمير المؤمنين عليه السلام هو: «كُلَّ يَوْمٍ لَا أَعْصِي اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ»، وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام يوم عيد، فرأيت عنده طعاماً بسيطاً، فاستغرب سويد خصوصاً وإن اليوم عيد، فقال له الإمام عليه السلام: «إنما هذا عيدُ مَنْ غُفِرَ لهُ»[1].

هذا هو الفهم الصحيح للعيد، لكن أولياء الشيطان وأتباع الشهوات وعبدة الهوى الذين لا يتركون فرصة إلا وسخّروها لإشباع غرائزهم النهمة أخرجوا العيد من معناه الحقيقي، فجعلوه فرصة لممارسة المعاصي وارتكاب الفواحش، ولا أريد أن أذكر أعمالهم في هذا المكان المقدس، لكن المؤسف أنه حتى الأُسر الملتزمة المتدينة (تتحرر) وتتخلى من بعض التزاماتها، فتظهر النساء متبرجات وقد أبدت زينتهن، وربما تبادلت المصافحة أو ما هو أسوء مع الأقرباء والأصدقاء باعتبار أن اليوم يوم فرح وسرور.

(١) سفينة البحار – مادة عود.

الفرح في القرآن الكريم:

ولا أريد أن أطيل بهذا الكلام المقرح للقلوب الغيورة على الدين والأخلاق والشرف، فنحن لا نريد أن نفرغ حياتنا من الفرح والسرور، لكن ينبغي أن نلتفت إلى أننا حينما نقرأ القرآن نجد ذمّاً ومدحاً للفرح، فهل هذا تناقض في كلمات القرآن؟ كلا طبعاً، لأنه صادر من الله العليم الحكيم ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾ (النساء:٨٢)، فالفرح المذموم هو ما كان لمحض الأمور الدنيوية المجردة عن الأغراض الأخروية، وفي مثلها قال الله تعالى بصدد بيان فرح قارون بما أُوتي من ثروة طائلة وأموال عظيمة: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٦-٧٧)، ولكن ماذا كانت عاقبته: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾ (القصص:٨١) ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص:٨٢).

فهذا نموذج للفرح المذموم، لأنه ليس فيه نصيب لله تعالى، وفي مقابل ذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨).

كيف نحول الإيمان من النظرية الى التطبيق؟

الذي أريد أن أعرضه هنا هو كيف نحوّل إيماننا بالله تعالى من مستوى النظرية إلى مستوى التطبيق، يعني إذا كنّا كلنا نعلم أنّ هذا التصرف خطأ فلماذا نفعله؟ وإذا كنا نعلم أن هذا التصرف صحيح فلماذا لا نفعله؟ كيف نولّد في أنفسنا الدواعي والدوافع نحو التطبيق بحيث نتعامل مع الله تبارك وتعالى كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا؟ وهذا مما لا يشك فيه مؤمن.

فهذه المرأة التي لا تلتزم بالحجاب، وهذا الشاب الذي لا يصلي، وهذا الشخص الذي يلعب الطاولي والدومينو والمؤذن ينادي حيّ على الصلاة، وهؤلاء الذين يغشون في السوق ويأكلون المال بالباطل متذرعين بالحيل الشرعية، وهذا الذين يخون الأمانة، وهذه العشائر التي تحكم بغير ما أنزل الله وتتقاتل فتسفك الدماء وتُيتم الأطفال من أجل الأمور التافهة، وهؤلاء الشباب والشابات الذين يكونون علاقات غير مشروعة

تحت عناوين مختلفة كالزمالة ونحوها، كل هؤلاء وغيرهم ألا يعلمون أنّ هذه أفعال محرمة لا يرضاها الله تبارك وتعالى؟ لابد أنهم يعلمون! فما الذي يُجرّئهم على الله؟! ألا يعلم هؤلاء أن أمامنا عقبةً كؤوداً هي الموت، وما بعد الموت أعظم وأدهى؟ أليس هؤلاء مسلمين ويؤمنون بالله ـ ولو نظرياً على الأقل ـ ويؤمنون بالآخرة والمعاد والحساب، فلماذا لا ينعكس هذا الإيمان على تصرفاتهم؟ أين الخلل؟

وهنا تذكرت كلمة أمير المؤمنين عليه السلام: «ما رأيت يقيناً أشبه بشكّ مثل الموت»، فإنه يقين مائة بالمائة على مستوى النظرية، لكنك لا تجد من يؤمن به عملياً، بمعنى أنه يستعد له الاستعداد الكامل، وكأنه كُتبَ على غيره، فترى الإنسان إذا عزم على سفر قد لا يطول شهراً يُعدُّ كل ما يحتاجه أو يُحتمل أنه يحتاج إليه، ويهيّئ جميع أموره حتى الحقير منها، فلماذا لا يستعد بنفس الاستعداد لسفر الآخرة ويحضر زاده لهذا السفر الذي بينه القرآن الكريم: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فإن خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧)، وقال الإمام الحسين عليه السلام: (وحصل زادك قبل حلول أجلك).

لنرجع الى الله تعالى أيام العيد:

فكيف نرجع إلى الله تعالى ونعود إليه خصوصاً بمناسبة العيد الذي قلنا أن معناه العود إلى الله تبارك وتعالى؟ وكيف نحبب الإيمان إلى نفوسنا وقلوبنا استجابة للعتاب الرقيق الرحيم الذي يوجهه الله تبارك وتعالى إلينا نحن المؤمنين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)، ثم يضرب لنا مثالاً لهذه القلوب التي تقسو بسبب الخوض في أمور الدنيا، لكنها ترقّ وتحيى بعد أن يزهر فيها الإيمان وتعمر بذكر الله تعالى، فيقول في الآية التالية: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الحديد: ١٦-١٧)، بل قد وصف في آية أخرى إعمار القلب بالإيمان وذكر الله بالحياة، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤).

محفزات للتطبيق:

ونحن هنا نثير بعض المحفزات النفسية والعقلية والقلبية التي تحثنا نحو التطبيق:

١. إن من شأن كل عاقل أن يرد الجميل بالجميل ويجازي الإحسان بالإحسان ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠) ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧)، ونعم الله تعالى علينا كثيرة سواء على صعيد أبداننا التي هي عبارة عن معامل ومصانع كثيرة تعمل بدقة وإتقان، وأبسط مراجعة لكتاب (الطب محراب الإيمان)(١) تنبئك عن هذا مما يوقف شعر رأسك، أو على صعيد الحياة حولنا من كون متناسق وأرض طيبة معطاء ونعم لا تعد وتحصى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٤)، وجزاء الإحسان إحسان مثله، ولما كان الله غنياً عن عباده ولا يمكن أن يصل إليه نفع من أحد، فرَدُّ الإحسان بالنسبة إليه طاعته، ومن أشكال شكر النعم أن تطيع المنعم بها، أمّا عصيانه مع نعمه الوفيرة فهذا مما لا يرضاه عاقل.

٢. إنّ كل واحد منا يحب أن تزيد النعم عليه، وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي، وقد وعدنا سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:٧)، وفي الحديث: (بالشكر تدوم النعم)، فعلى من يريد زيادة النعم كالمال والبنين والجاه والصحة

(١) تأليف: الدكتور السوري خالص جلبي، وهي رسالة دكتوراه في كلية الطب.

وغيرها فعليه أن يطيع الله ويشكره ليزيده الله من النعم ﴿وَلَوْ أَنَّ أهل الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦).

٣. إنه إذا أخبرنا إنسان ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة، فإننا سنهرب بالاتجاه المعاكس، ونحذر منه ونتخذ الإجراءات الواقية من الوقوع في الخطر، فإذا أكّد هذا الخبر ثقة آخر ازداد استعدادنا لذلك وكنّا أكثر حزماً، وقد أخبرنا مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ومثلهم من الأوصياء والعلماء أنه سيكون هناك يوم قيامة يثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على عصيانه بنارٍ وقودها الناس والحجارة، أفلا يوجب هذا البيان المؤكد الحذر والابتعاد عن كل ما يورطنا في هذه النار المتأججة، وقد وصفها القرآن الكريم بمشاهد مرعبة، وأخبرنا أنّ معصية الله سبحانه توقعنا فيها، وأنّ طاعته تورثنا جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة: ١٧)؟.

٤. أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ماذا يخسر الإنسان لو أطاع الله سبحانه واستقام على الشريعة؟!. لا يخسر شيئاً، بل هو يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه، وفوق

ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الإيمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال الله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ (النساء: ١٠٤)، وقد اتبع هذا الأسلوب الإمام الصادق عليه السلام حين قال لأحدهم: «يا هذا إن كان ما تقول أنت ـ بأنه لا جنة ولا نار ولا حساب حق ـ فنحن وأنتم سواء، فإننا نأكل كما تأكلون وننكح كما تنكحون، وإن كان الأمر كما نقول هلكتم ونجونا»[١] وهو أسلوب لا يستطيع أن يرفضه أي عاقل.

٥. أن نلتفت إلى أن الله تعالى مطلّع علينا ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وقد جعل على كل واحد منّا ملائكة يحصون الأعمال في كتابٍ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وجعل الشهود على ذلك من أعضائنا التي نمارس بها حياتنا ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي

(١) الكافي: ٧٨/١.

ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٠-٢٣)، فإذا التفتنا إلى هذه الحقائق فسنكون دقيقين في تصرفاتنا، وسنحسب ألف حساب قبل أن نورط أنفسنا في المعصية.

٦. إن الإنسان الذي يمتنع عن إعطاء شيء من نفسه أو ماله لطاعة الله تعالى فإنه سيدفع أكثر منها في معصية الله وهو راغم، وستكون عليه حسرة يوم القيامة، فلا يدفع الحقوق الشرعية في أمواله لكنه يدفع أموالاً كثيرة في أمور تافهة تجرّ عليه حسرة يوم القيامة، أو يقصّر في العبادة أو يتكاسل عن قضاء حوائج المؤمنين فيبتليه الله بمشاغل كان يمكن أن يدفعها الله عنه لو لم يقصر في طاعة الله فيفوز بالآخرة ويكفيه الله مؤونة الدنيا وتعبها.

٧. إن من يطيع الله سبحانه ويتجنب معصيته يعيش لذة الانتصار على أعدى أعدائه، وهي النفس الأمارة بالسوء كما وصفها الحديث الشريف، وكلّما كان تمرد النفس على الترك قوياً كان الفعل أكثر لذة، مثلاً: تعرض أمامك امرأة متبرجة قد أظهرت مفاتنها أو طالبة جامعية أو زميلة في دائرة تبرعت بإنشاء علاقة عاطفية معك فتنتصر أنت على نفسك الطموحة إلى ذلك، فتعيش لذة الانتصار، وهو ما أشار إليه الحديث

الشريف: «النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللَّهِ أَعْطَاهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»، أو يغيظك شخص ويسيء إليك وأنت قادر على رد إساءته، فتتركها لله تعالى وتنتصر على نفسك التي ترغب بالتشفي والانتقام، وهذا معنى الحديث: «ما جرعة أحبُّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها»[1].

وتوجد نقاط كثيرة لا أعتقد أن الوقت يسع لها.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته، فتكون أيامنا كلّها أعياداً، والعيد الأكبر حين نلقاه تبارك وتعالى وهو راضٍ عنّا ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ٧٢).

(١) الكافي: ١٠٩/٢.

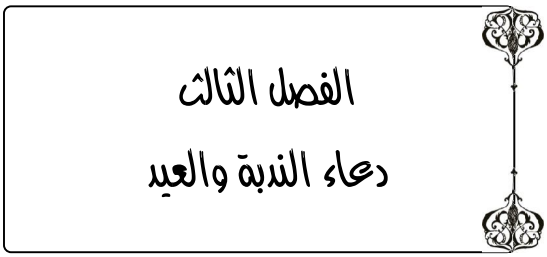

الفصل الثالث

دعاء الندبة والعيد

دعاء الندبة والعيد[1]

لماذا نقرأ دعاء الندبة في العيد؟

من الأعمال المستحبة يوم العيد قراءة دعاء الندبة وهو دعاء جليل شريف يتضمن معاني عالية ودروس قيّمة ينبغي للمؤمن الواعي الرسالي أن يستفيد منها، ويمكن فهم وجود الدعاء ضمن الأعمال التي ورد استحبابها لهذا اليوم الشريف الأول من شوّال المكرم على أنه جزء من برنامج أعدّه الأئمة المعصومون عليهم السلام لشيعتهم لكي يعيشوا الأجواء الواقعية لهذا اليوم، ولا ينخرطوا في الحالة التي تدعوا لها النفس الأمّارة بالسوء من اللهو والعبث وممارسة الأفعال التي لا تخلو من المعاصي في أيام العيد، التي ينظر إليها أغلب الناس على أنها مناسبة اجتماعية وفرصة للاستجابة لمشتهيات النفس وتعويضها عما حرمت منه في شهر رمضان ـ كما تظن ـ.

بينما هذا اليوم في الحقيقة مناسبة دينية شريفة لأنه

(١) خطبة صلاة عيد الفطر المبارك التي ألقاها سماحة الشيخ دام ظله في جموع المصلين الذين حضروها صباح يوم الجمعة الأول من شوال ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/١١/٤.

كأيّ يوم توزَّع نتائج الامتحانات والمسابقات فيه-يكون يوم ترقب وتوجّس وانتظار، ينظر المؤمن فيه تارة إلى رحمة الله تعالى وكرمه وعظيم مِننه فيتفاءل وينتعش الأمل في أن يحظى بالدرجات الرفيعة في جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ورضوانٌ من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم، ويلتفت تارة أخرى إلى عيوب نفسه وقصوره وتقصيره وظلمه في هذا الشهر المبارك وغيره فيتضاءل عنده الأمل بالنجاة.

وفي ظل هذه الموازنة يمضي الإنسان في حياته مندفعاً في الاتجاه الإيجابي الذي تقتضيه، ولا يوجد فيها مكان للعبث واللهو والانحدار في أفعال غير مرضية، لذا حفلت هذه الأيام بالأدعية والصلوات والأذكار التي تنسجم مع واقع هذا اليوم الشريف ومنها دعاء الندبة.

العيد الحقيقي:

كما أن هذه الأعمال تؤدي وظيفة أخرى وهي تذكير الأمة بأن العيد الحقيقي لا يتحقق بثوب جديد أو موقع كبير أو مال جزيل، وإنما العيد الحقيقي أن تحيى في ظل طاعة الله تعالى وإدامة ذكره وعدم الغفلة عنه والارتباط المتواصل به، بحيث لا تندفع إلا إلى ما أمر به وحثّ عليه، ولا تنزجر إلا عمّا نهى عنه لذا ورد في الحديث الشريف «كُلُّ يَوْمٍ لَا أَعْصِي

اللَّهَ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ»، فلا عيد لهؤلاء الذين يمضون ساعاته في الفسق والفجور والمجون كذلك الذي يقول:

رمضان ولّى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ

فإن أمثال هؤلاء تعساء وأشقياء لكنهم غافلون عن صورتهم الحقيقية، وعميت أبصارهم عن الالتفات إلى واقعهم المؤلم حتى إذا ماتوا فوجئوا بما صنعوا وبما قدّموا لأنفسهم ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق:١٩-٢٢) وفي الحديث الشريف «النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا».

لا تنسيكم الأفراح ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام:

وإضافة إلى هذه المعاني العامة فإن لدعاء الندبة خصوصيات ترتبط بيوم العيد الشريف:

منها: أن أفراحكم لا تنسيكم مصائب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ومواليهم وكل العاملين الرساليين التي لا زالت تقع عليهم من كل حدب وصوب، يقول الإمام السجاد عليه السلام في يوم عيد بعد استشهاد أبيه الحسين عليه السلام وأصحابه البررة وهو

كئيب حزين:

يفرح هذا الورى بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أهل بيته والسائرين على دربه بذلك فقال صلى الله عليه وآله: «أَنْتُمُ الْمُسْتَضْعَفُونَ بَعْدِي» فيذكرنا الدعاء بعدد من تلك المصائب والنكبات «فَعَلَى الْأَطَايِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا، فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ، وَإِيَّاهُمْ فَلْيَنْدُبِ النَّادِبُونَ، وَلِمِثْلِهِمْ فَلْتُذْرَفِ الدُّمُوعُ، وَلْيَصْرُخِ الصَّارِخُونَ، وَيَضِجَّ الضَّاجُّونَ، وَيَعِجَّ الْعَاجُّونَ، أَيْنَ الْحَسَنُ، أَيْنَ الْحُسَيْنُ؟ وَأَيْنَ أَبْنَاءُ الْحُسَيْنِ؟ صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ، وَصَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ».

وحينما يحث الشارع على استثارة الحزن فليس ذلك لأنه يريد أن نعيش حياة التشاؤم والألم والانزواء، بل لأن الحزن والعاطفة عموماً خير محفّز للعمل ويزيل قسوة القلب التي يُستعاذ بها في الدعاء «من جمود العين وقسوة القلب» والواقع شاهد على ذلك والمعنى مأخوذ من قصار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

العيد والالتفات الى القيادة الحقيقية:

ومنها: ان يوم العيد وان كان له دور كبير في توحيد الأمة وزيادة أواصر المحبة وصفاء القلوب بما يتضمن من

زيارات وتبادل التهاني والتبريكات، وهي أعمال رغّب فيها الشارع المقدس وأشارت الأحاديث والأدعية الشريفة إليها، ففي دعاء الإمام السجّاد عليه السلام في وداع شهر رمضان «اللَّهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيداً وَسُرُوراً، وَلِأَهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعاً وَمُحْتَشَداً».

إلا أن دعاء الندبة يوجهنا إلى ركن آخر مهم ترتكز عليها وحدة الأمة، وهو التفاتها والتفافها حول قيادتها الحقيقية المتمثلة برسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام التي انتهت إلى بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء)، وفي أثناء غيبته تتمثل بالفقهاء العدول المخلصين الواعين القادرين على سياسة الأمة ورعاية شؤونها والدفاع عن حقوقها، فإذا تفرقت الأمة عن مثل هذه القيادة ضاعت وتشتتت ولا تنفع المجاملات في يوم العيد ولا في غيره لجمعها وتوحيدها قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذ كُنْتُمْ أعداء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأنقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران:١٠٣) وحبل الله هو القرآن والناطقون الحقيقيون به هم من ذكَرنا.

وقد نبّهت الصِدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء إلى هذا المعنى في خطبتها في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله «وجعل إِمَامَتَنَا نِظَاماً

لِلْمِلَّةِ»، ودعاء الندبة حافل بالإشارات إلى الأئمة الحقيقيين للأمة وبتسلسل دقيق إلى أن قال «فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقَامَ وَلِيَّهُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا هَادِياً، إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْذِرَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ، فَقَالَ وَالْمَلَأُ أَمامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَنَا وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ أَمِيرُهُ».

ثم يشير إلى حال الأمة في التفرق عنهم عليهم السلام «وَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقَى الْآخِرِينَ، يَتْبَعُ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ، لَمْ يُمْتَثَلْ أَمْرُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْهَادِينَ بَعْدَ الْهَادِينَ، وَالْأُمَّةُ مُصِرَّةٌ عَلَى مَقْتِهِ، مُجْمِعَةٌ عَلَى قَطِيعَةِ رَحِمِهِ وَإِقْصَاءِ وُلْدِهِ، إِلَّا الْقَلِيلَ مِمَّنْ وَفَى لِرِعَايَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ».

العيد والرغبة في الآخرة:

ومنها: أن نفس الإنسان تطمح إلى الدنيا والتوسع فيها خصوصاً في مثل أيام العيد، فيريد الدعاء أن يكبح جماح هذه الرغبة ويزهّده في الدنيا باستعراض تقلبها بأهلها وجورها على أولياء الله تعالى ولو كان لها قيمة عند الله تعالى لاختصّ الله بها أولياءه كما في الحديث «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْخَيْرِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى مِنْهَا كَافِراً شَرْبَةَ مَاء».

ويلفت الدعاء نظرنا إلى فكرة مهمة وهي أنّ من رغب

في نيل الدرجات الرفيعة عند الله تعالى فإن شرط الله تعالى هو الزهد في هذه الدنيا وعدم الالتفات إليها والأخذ منها إلا بمقدار الحاجة وأول من استجاب لهذا الشرط ووفى به رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته والأنبياء والرسل الكرام، يقول الدعاء «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلَالَ بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجِهَا فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَ قَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ وَ أَكْرَمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرَائِعَ إِلَيْكَ وَ الْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ».

ووجه الاشتراط واضح لأن القلب المملوء بالتعلق بالدنيا لا يصلح بيتاً للرحمن ففي الحديث القدسي «لَمْ يَسَعْنِي سَمَائِي وَ لَا أَرْضِي وَ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِن» ثم قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ (الحج: ٢٦) لذا أدّبَ اللهُ تبارك وتعالى نبيه ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه:١٣١).

ذكر صاحب الأمر عليه السلام

والدعاء إضافة إلى ذلك كله مليء بالتلهف والشوق لِلِقاء إمام العصر والتأسّف على الحرمان من النظر إلى طلعته المباركة، فيقول الدعاء «هَلْ إِلَيْكَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ سَبِيلٌ فَتُلْقَى هَلْ يَتَّصِلُ يَوْمُنَا مِنْكَ بِغَدِهِ فَنَحْظَى مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوَى [فنروي] مَتَى نَنْتَفِعُ [نَنْقَعُ] مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى مَتَى نُغَادِيكَ وَ نُرَاوِحُكَ فَتَقَرَّ عُيُونُنَا [فَنَقِرَّ مِنْهَا عَيْناً] مَتَى تَرَانَا [نَرَانَا] وَ نَرَاكَ وَ قَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ النَّصْرِ تُرَى أَ تَرَانَا [أَ نَرَانَا] نَحُفُّ بِكَ وَ أَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ وَ قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا وَ أَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَاناً وَ عِقَاباً وَ أَبَرْتَ الْعُتَاةَ وَ جَحَدَةَ الْحَقِّ وَ قَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ وَ اجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ وَ نَحْنُ نَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ..» وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلّم تسليماً كثيراً.

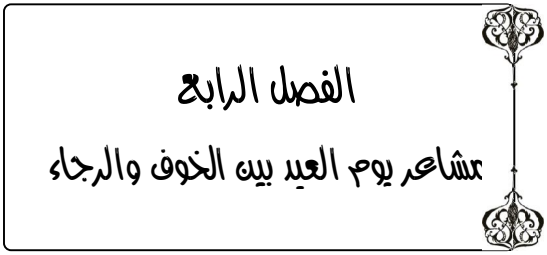

الفصل الرابع

مشاعر يوم العيد بين الخوف والرجاء

مشاعر يوم العيد
بين الخوف والرجاء[1]

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شرِّ نفسي إن النفس لأمّارةٌ بالسوء إلا ما رحمَ ربّي، وأعوذُ من شرِّ الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي، وأحترزُ به من كلِّ جبارٍ فاجرٍ وسلطانٍ جائرٍ، وعدو قاهر.

اللهم صلِّ على محمدٍ خاتمِ النبيين وتمام عدة المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

مشاعر المؤمن في يوم العيد:

يقوم أكثر المسلمين باحتفالات صاخبة في العيد لا تنمُّ عن تحقق النتائج المرجوّة من صيام شهر رمضان وكأنهم يريدون أن يطلقوا لأهوائهم وشهواتهم العنان بعد أن كانت محبوسة طيلة الشهر، وفي الحقيقة فإن أمثال هؤلاء كانوا حتى خلال الشهر منساقين وراء شهواتهم وكل الذي يتغير هو التوقيت فهم يصومون في النهار ثم يعوِّضون في الليل ما

(١) الخطبة الأولى بعد صلاة عيد الفطر السعيد التي أقامها سماحة الشيخ اليعقوبي في داره وقد وافق ٢٠٠٧/١٠/١٣.

فاتهم من لذيذ الأطعمة وإحياء الليالي الرمضانية بسفاسف الأمور.

لكن الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) يعلموننا ما ينبغي أن تكون مشاعرنا في يوم العيد، فقد روى جابر عن الإمام الباقر عليه السلام عن جدّه النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «إذا كان أول يوم من شوال نادى منادٍ: أيها المؤمنون اغدوا إلى جوائزكم، ثم قال: يا جابر جوائز الله ليست بجوائز هؤلاء الملوك، ثم قال: هو يوم الجوائز»[1].

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه): «وَنَظَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهما السلام إِلَى أُنَاسٍ فِي يَوْمِ فِطْرٍ يَلْعَبُونَ وَ يَضْحَكُونَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ وَ الْتَفَتَ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ جَعَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَاراً لِخَلْقِهِ يَسْتَبِقُونَ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ فَسَبَقَ فِيهِ قَوْمٌ فَفَازُوا وَ تَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ وَ يَخِيبُ فِيهِ الْمُقَصِّرُونَ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيءٌ بِإِسَاءَتِهِ»[2].

هدف الإنسان هو التقوى:

(١) و (٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، ج٥، أبواب صلاة العيد، الباب٣٧، ح١، ٣.

وإنما يكون الإنسان فائزاً ومحسناً ويستحق الجائزة إذا أتى بالعمل المطلوب كما أراده منه ربُّه وتحقق لديه الهدف من التشريع، وما هو هذا الهدف؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

فالهدف هو تربية الإنسان لتحصيل ملكة التقوى وهي حالة تحصل في قلب الإنسان تحرّكه نحو كل ما يرضي الله تبارك وتعالى سواء كان واجباً أو مستحباً وتمنعه عن اقتحام كل ما يوجب سخط الله تبارك وتعالى أو تقلل من مرتبة القرب إليه سبحانه سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً، ويكون الإنسان هو الرقيب على نفسه في كل تلك الحركات والسكنات حتى في خلواته حينما لا يطّلع عليه أحد فإنه يُرَوِّضُ نفسه بالتقوى، قال تعالى في التمييز بين الفريقين ﴿فَإِذَا جَاءتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى ، وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى، فَأَمَّا مَن طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فإن الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٣٤-٤١).

فالمتقي هو من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى مطلق الهوى سواء كان محرّما أو مكروهاً أو مباحاً لا يليق

بمقام ربّه. ولذا كانت التقوى خير الزاد ليوم المعاد ﴿وَتَزَوَّدُواْ فإن خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧) ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩) ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور:٥٢).

وتكرر الحث على التقوى في آيات كثيرة في القرآن الكريم وربما تكررت في الآية الواحدة كالتي مرّت آنفاً، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر:١٨) ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فإن اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:٧٦).

من آثار التقوى:

وإضافة إلى تلك الآثار الأخروية للتقوى فإن القرآن الكريم يلفت نظرنا إلى آثار مباركة عظيمة للتقوى في الدنيا والآخرة:-

(منها) تكفير السيئات؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (المائدة:٦٥) ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ (الطلاق:٥).

(ومنها) البركات المادية والمعنوية؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف :٩٦).

(ومنها) إيجاد الفرج والمخرج والرزق بدون احتساب؛ قال تعالى: ﴿مَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٤).

(ومنها) إلهام العلم؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٢).

(ومنها) قذف البصيرة ونور الفرقان في القلب؛ قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال:٢٩).

وغيرها كثير مما لا يسعه المقام وتستحق إفرادها بكتاب مستقل.

وقد اختُصر تعريف التقوى «بأن لا يفتقدك الله حيث أمرك ولا يجدك الله حيث نهاك» والأمر أعم من الواجب والمستحب، والنهي أعم من الحرام والمكروه.

الصوم الحقيقي:

وتتحدث الروايات الشريفة عن كيفية إنتاج الصوم الحقيقي بدرجة من درجات التقوى تتكامل بانضمامها إلى نتائج العبادات الأخرى، فيقول أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وإِنَّمَا هِيَ نَفسِي أَرُوْضُها بِالتَقوَى لِتَأْتِي آمِنَةً يومَ الفَزَعِ﴾ وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا أُمِرُوا بِالصَّوْمِ لِكَيْ يَعْرِفُوا أَلَمَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَيَسْتَدِلُّوا عَلَى فَقْرِ الْآخِرَةِ وَ لِيَكُونَ الصَّائِمُ خَاشِعاً ذَلِيلًا مُسْتَكِيناً مَأْجُوراً مُحْتَسِباً عَارِفاً صَابِراً عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَيَسْتَوْجِبَ الثَّوَابَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَ لِيَكُونَ ذَلِكَ وَاعِظاً لَهُمْ فِي الْعَاجِلِ وَ رَائِضاً لَهُمْ عَلَى أَدَاءِ مَا كَلَّفَهُمْ وَ دَلِيلًا لَهُمْ فِي الْآجِلِ وَ لِيَعْرِفُوا شِدَّةَ مَبْلَغِ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْفَقْرِ وَ الْمَسْكَنَةِ فِي الدُّنْيَا فَيَؤَدُّوا إِلَيْهِمْ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ»[1].

وهذه بعض معالم التقوى وهي كثيرة وقد بيّن أمير المؤمنين صفات المتقين في خطبته المعروفة فليقم كل راغب في أن يكون من المتقين بتحقيق تلك الصفات في نفسه وفي سلوكه مستمداً العون من الله تبارك وتعالى.

(١) وسائل الشيعة: ج٧، كتاب الصوم، أبواب وجوب الصوم ونيته، باب١، ح٥.

قيمة العمل:

فقيمة العمل إنما تعرف من مقدار مطابقة نتائجه مع الهدف المطلوب من العمل كما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية معرفة أن الصلاة مقبولة أم لا؟ قال عليه السلام: أنظر إلى مقدار نهيها لصاحبها عن الفحشاء والمنكر. تطبيقاً للآية الشريفة ﴿إِنَّ الصَلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ﴾ فكذلك الصوم الذي لايربي في الإنسان ملكة التقوى ولا يمنعه من ارتكاب المحرمات لا قيمة له في ميزان التكامل، روى السيد ابن طاووس عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «إِنَّ الْكَذِبَةَ لَتُفَطِّرُ الصَّائِمَ وَالنَّظْرَةَ بَعْدَ النَّظْرَةِ وَالظُّلْمَ قَلِيلَهُ وَ كَثِيرَهُ»[1].

فالصوم المنتج للتقوى لا بد أن يشمل القلب وجميع الجوارح، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجابر بن عبد الله: يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله وعفَّ بطنه وفرجه وكفّ لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر، فقال جابر: يا رسول الله ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر ما أشدَّ هذه الشروط!»[2].

(١) المصدر، أبواب آداب الصائم، باب١١، ح٩.

(٢) نفس المصدر، أبواب آداب الصائم، باب١١، ح٢.

مقارنة يوم العيد بيوم النشور:

فالشعور الحقيقي للإنسان يوم العيد أن يكون متردداً بين الخوف والرجاء.

ومن المشاعر التي يلفت المعصومون عليهم السلام نظرنا إليها يوم العيد: المقارنة بينه وبين يوم النشور؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه (سلام الله عليهم) قال: «خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عليه السلام النَّاسَ يَوْمَ الْفِطْرِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ يُثَابُ بِهِ الْمُحْسِنُونَ وَ يَخْسَرُ فِيهِ الْمُسِيئُونَ وَ هُوَ أَشْبَهُ يَوْمٍ بِيَوْمِ قِيَامَتِكُمْ فَاذْكُرُوا بِخُرُوجِكُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ إِلَى مُصَلَّاكُمْ خُرُوجَكُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّكُمْ وَ اذْكُرُوا بِوُقُوفِكُمْ فِي مُصَلَّاكُمْ وُقُوفَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمْ وَ اذْكُرُوا بِرُجُوعِكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ رُجُوعَكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ أَدْنَى مَا لِلصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ أَنْ يُنَادِيَهُمْ مَلَكٌ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَبْشِرُوا عِبَادَ اللَّهِ فَقَدْ غُفِرَ لَكُمْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكُمْ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ فِيمَا تَسْتَأْنِفُونَ»[1].

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، ج٥، أبواب صلاة العيد، باب٣٨، ح١.

تجديد الحزن لآل محمد صلى الله عليه وآله:

ومن مشاعرنا يوم العيد تجديد الحزن لاغتصاب آل محمد صلى الله عليه وآله حقهم، فعن عبد الله بن ذبيان عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا مِنْ يَوْمِ عِيدٍ لِلْمُسْلِمِينَ أَضْحًى وَ لَا فِطْرٍ إِلَّا وَ هُوَ يُجَدِّدُ اللَّهُ لآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام فِيهِ حُزْناً قَالَ قُلْتُ وَ لِمَ ذَلِكَ قَالَ إِنَّهُمْ يَرَوْنَ حَقَّهُمْ فِي أَيْدِي غَيْرِهِمْ»[1].

لذا كان من مستحبات يوم العيد قراءة دعاء الندبة المليء بالتأسف والألم لما أصاب أهل البيت عليهم السلام وبنفس الوقت فإن الدعاء يحيي الآمال بتعجيل الظهور الميمون المبارك جعلنا الله تعالى من أنصاره وكبراء قادته. انه نعم المولى ونعم النصير.

(١) نفس المصدر، باب ٣١، ح ١.

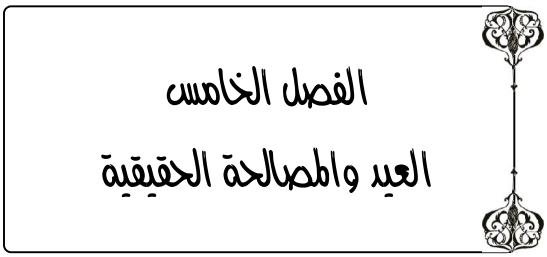

الفصل الخامس

العيد والمصالحة الحقيقية

العيد والمصالحة الحقيقية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيد خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

نحو معالجة العنف السياسي:

مرَّ عامٌ كامل على توقيع وثيقة مكة المكرمة[2] التي وصفناها في كلمتنا إلى المؤتمرين وعبر وسائل الإعلام بأن الآمال معلّقة عليها، ولم نكن نتوقع أن مثل هذه الخطوة تقضي على كل أشكال العنف الجاري على الأرض العراقية؛ لأن بعضه يرجع إلى دوافع إرهابية كالذي يقوم به التكفيريون، وبعضه ناشئ من أغراض إجرامية كالسرقة والقتل لعداوات شخصية والخطف للابتزاز ونحوها، ومثل هذه الأصناف لها حلولها الخاصة كتجفيف المنابع اللوجستية

(١) الخطبة الثانية لصلاة عيد الفطر السعيد لعام ١٤٢٨هـ

(٢) تم التوقيع على وثيقة مكة المكرمة مساء يوم الجمعة ٢٦/رمضان/١٤٢٧ الموافق ٢٠٠٦/١٠/٢٠ في فندق مجاور للبيت الحرام ووقّعها ثمانية وعشرون شخصاً مناصفة بين الشيعة والسنة.

للإرهاب وإصلاح المنطلقات الفكرية التي يستند إليها وتقوية الأجهزة الأمنيـة والعسـكرية لمحاربتـه وفـرض سـلطة الدولـة والقانون لمكافحة الجريمة وغيرها.

وإنما كنّا نأمل بتلك الخطوة أن تعالج العنـف السياسـي الذي يوفّر المناخ المناسب لنشوء كل الأشكال الأخـرى مـن العنـف والكـوارث، وأن تعـالج جانبـاً مـن الإرهـاب عُـزّزِ بـه فجاءت الوثيقة لتصحح مستنده العقائدي، وقد تحققـت تلـك الآمال فـي الأسـابيع الأولـى مـن عمـر الوثيقـة حيـث أفـادت التقارير الأمنيـة فـي حينهـا أن انخفاضـاً ملحوظـاً فـي مسـتوى العنف قد تحقق قدّره بعض الخبراء في حينـه بعشـرين بالمئـة وهو رقم طيّب يمكن تحقيقه خلال أسبوعين، ولكن ما لبثـت تلـك الآمـال أن تلاشـت وعـادت دوّامـة العنـف تلـفّ البلـد وتزهق آلاف الأرواح البريئة وتهجّر مئات الآلاف وتخـرِّب الممتلكات، فلماذا حصل هذا التراجع؟

الإصلاح منوط بإرادة الأطراف المتصارعة:

ولست الآن بصدد تعداد كل الأسباب وتأثير الاحتلال والأجندات الإقليمية والدولية لأن هذه كلهـا علـى خطورتهـا يمكن تحجيم أثرهـا إذا تـوفرت لـدى ساسـة العـراق الإرادة الصادقة لحل المشاكل وإنقـاذ البلـد وأهلـه؛ قـال تعـالى ﴿إن

يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا﴾ (النساء:٣٥)، ولكنني أريد أن أُنبِّه إلى سبب مهم أشرتُ إليه في نفس رسالتي إلى المؤتمر ويمثّل الخطوة الثانية من بناء عملية مصالحة حقيقية بعد الخطوة الأولى وهي التوقيع والتعهد بالالتزام ببنود الوثيقة فقلت في حينها (إن العنف الذي يشهده العراق ليس طائفياً فقد عشنا في كل الأزمنة السابقة وحتى الآن سُنَّةً وشيعةً متآخينَ متحابِّينَ وإنما هو في الغالب سياسي ويتولى كِبْرَهُ سياسيون طامعون في السلطة والإثراء بغير حق ﴿لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾ (التوبة:٨)، وإنما يلبسونه ثوب الطائفية ليعبّئوا لمعركتهم هذه مَن يسير على غير هدى، لذا لا بد من الشروع فور البدء بالالتزام بوثيقة مكة المكرمة بإصلاحات سياسية جذرية، وقد تداولت مع عدد من الأخوة المسؤولين بأفكار مهمة في هذا المجال تجعل كل شيء قابلاً للنقاش إلا ما حرَّمَ حلالاً أو أحلَّ حراماً في شريعة سيّد المرسلين).

هذه هي الخطوة الثانية التي لم يقم بها السياسيون، وبقي الجميع متمسّكين بمواقعهم ومواقفهم.

نصيحتي للسياسيين:

وفي ضوء هذه الحقائق أُوجِّهُ كلامي إلى الموجودين في السلطة وأقول لهم: إنني ما قلت لهم هذه الكلمات إلا

بدافع النصيحة فأنا ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف:٦٨)، ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٦٢)، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ (سبأ:٤٦)، وإن الله تعالى مُسائلكم عن هذه المواقع التي أنتم فيها ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ، مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ﴾ (الصافات: ٢٤-٢٥) والدنيا مهما طالت فإنها تنتهي بالموت وسوف لا ينفع يومئذٍ مال ولا بنون ولا جاه ولا موقع ولا حمايات ولا ينجو إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ خالٍ من الغشّ والحقد والأنانية وحبّ الدنيا وظلم الآخرين وحرمان الناس من حقوقهم والاستئثار دونهم بالامتيازات، وإنما يفوز يوم القيامة من جاء ربّه بقلبٍ مليءٍ بالرحمة والحب والصفح والتسامح وإرادة الخير للناس جميعاً كما يريده لنفسه بل أن يؤْثِر الآخرين على نفسه ويضحّي من أجلهم.

فعلى جميع الأطراف أن تبذل كل ما في وسعها وتقدم كل التنازلات الضرورية ليحصل الوئام والانسجام والاشتراك في إنقاذ البلد من محنته وترفيه الشعب وإسعاده.

وليعلم كل طرف أن ما يقدمه من تنازلات ليس هو

للطرف الآخر حتى يشعر بالهزيمة، وأن هناك طرف رابح وآخر خاسر وإنما هو تنازل لله تبارك وتعالى وللشعب ولمستقبل هذا البلد وهذا كله ربح لا خسارة فيه.

العيد وشعيرة التواصل بين المؤمنين:

أيها المؤمنون: إن من أعظم شعائر العيد هو التواصل بين المؤمنين وإنهاء كل الخلافات بينهم وإسقاط كل التبعات التي لبعضهم على البعض الآخر، والتنازل عن أي شيء ممكن من أجل أن يلتقي مع الآخر، ولنستفد من بعض الأحاديث الشريفة الواردة بهذا الصدد، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجلّ رحماء بينهم متراحمين مغتمّين لما غاب عنهم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»[1] ومن وصية للإمام الصادق عليه السلام قال: «تواصلوا وتبارّوا وتراحموا وكونوا إخوة أبراراً كما أمركم الله عز وجل»[2] وفي فضل الوساطة بين المختلفين لتقريب وجهات النظر قال الإمام الباقر عليه السلام:

(١) و(٢) و(٣) وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب أحكام العشرة، باب ١٢٤، ح٢، ٣، ٥.

«رحم الله امرءاً ألّف بين وليّين لنا، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا»[٣].

وفي الحث على قبول العذر من المخطئ تمهيداً لتحقيق الوئام والانسجام نقل الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام فقال: «يا عليّ من لم يقبل العذر من متنصّلٍ عذراً صادقاً أو كاذباً لم ينل شفاعتي»[٤].

وفي استحباب التلاقي والمصافحة قال الإمام الباقر عليه السلام «إِنَّ الْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا أَدْخَلَ اللَّهُ يَدَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَشَدِّهِمَا حُبّاً لِصَاحِبِهِ فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّهُ بِوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا الذُّنُوبُ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ»[٥].

ويتعاظم هذا الفضل والأجر الكريم حينما تكون العلاقة هكذا بين القادة والسياسيين الذين تتوقف على تلاقيهم وتآلفهم وتوادهم نجاة ثلاثين مليون إنسان من محنتهم فكونوا كما أرادكم الله تبارك وتعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله.

---

(٤) نفس المصدر، الباب ١٢٥، ح١.

(٥) نفس المصدر، الباب ١٢٦، ح٧.

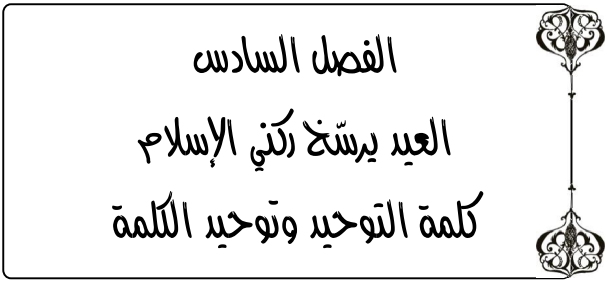

الفصل السادس

العيد يرسّخ ركني الإسلام

كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

العيد يرسّخ ركني الإسلام
كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

أقام سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) صلاة عيد الفطر المبارك للعام ١٤٢٥ هـ في باحة داره، حيث اجتمع العشرات من المؤمنين، وبعد الصلاة قام لأداء الخطبتين وافتتحهما بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى كما هو أهله وكما يستحقه حمداً كثيراً ثم قال:

ركني الإسلام:

توجد كلمة لأحد العلماء يقول: (بُني الإسلام على ركنين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة) وهي عبارة صادقة بدرجة كبيرة ولم تأتِ من فراغ وإنما هي مستقرأة من مجموعة وفيرة من النصوص الشريفة في القرآن والسنة وهذان الركنان تُساهم فعاليات العيد في ترسيخهما في نفوس وقلوب المؤمنين.

معنى كلمة التوحيد:

أما كلمة التوحيد ـ ولا نعني بها لقلقة اللسان فقط ـ فهي وإن كانت تمثل درجة من درجات الإيمان ومعبّرة عما

في قلب الإنسان وضميره ومبرزة لهذا الاعتقاد الباطني، إلا أنها غير كافية كما قال تعالى ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات:١٤) فالمطلوب من المسلم مراحل أخرى:

منها: انعقاد القلب على هذه الحقيقة بأن لا إله ولا مدبر ولا ربَّ ولا معبود ولا كامل وغيرها من المعاني إلا الله تبارك وتعالى.

ومنها: إشراق هذه المعاني على حياة الإنسان وتأثيرها في سلوكه فلا يخشى إلا الله تبارك وتعالى ولا يطيع أحد غيره ولا يرجو الخير إلا منه ولا يبغي رضا أحدٍ غيره ولا يتوكل إلا عليه ... وهكذا.

العيد فرصة لتعميق التوحيد:

وقد جعل الله تبارك وتعالى أزمنة شريفة ــ ومنها يوم العيد ــ فرصة كبيرة لتعميق هذه المعاني، فقام الأئمة عليهم السلام بحكم وظيفتهم الإلهية وهي الأخذ بيد العباد في طريق الهداية وإيصالهم إلى الكمال بوضع برنامج عمل تفصيلي لهذه الأيام، فعلمَّوا شيعتهم عدة صيغ للطاعة من الصلاة والدعاء والسنن والمستحبات وتضمنت الأدعية الحمد والثناء

لله تعالى على جميل صنعه إذ وفق لصيام هـذا الشـهر العظـيم، وأعان على قيامه وتلاوة كتابـه الكـريم فـي وقـت حُـرِم منهـا الكثيرون بحسب درجات الحرمان المتفاوتة، فأحدهم ـ وهو أسوأهم ـ لـم يؤدِ ما فرض الله عليه من صيام وصـلاة واشـتغل بالمعاصي، وآخـر صـام ظـاهراً بمعنـى أنـه امتنـع عـن الطعـام والشراب لكنه لم يمنعه صومه عـن الخـوض فـي المحرمـات كالغيبة وظلم الناس والمعاملات المحرمة والنظر إلى ما حـرم الله وحضور مجالس البّطالين ونحوها فهو قد حُرِم مـن درجـة من درجات العطاء الإلهـي، وهكـذا تمتـد درجـات الحرمـان بمقابل درجات القبول والقرب من الله تعالى، وكل درجة من درجات القبول تقابلها درجة من درجات الحرمان ﴿وَلَلآخِـرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٢١).

ومما تضمنته الأدعية من معان: التوسل إلى الله تعالى بالمغفرة وعدم المؤاخذة على التقصير وقبول الأعمال بكرمـه وان لا يعاملنا بعدله بل بفضله «اللهم أدِّ عنا حق ما مضـى مـن شهر رمضان واغفر لنا تقصيرنا فيه ولا تؤاخذنا بإسـرافنا علـى أنفسنا واجعلنـا مـن المرحـومين ولا تجعلنـا مـن المحـرومين» وفي دعاء آخر «إلهي ربـح الصـائمون وفـاز القـائمون ونجـى المخلصون ونحن عبيدك المذنبون».

فإذن ليس كل عمل يأتي به الإنسان يكون مقبولاً وإن كان مطابقاً للشروط التي ذكرها الفقهاء (قدس الله أسرارهم) في رسائلهم العملية التي تتكفل بإبراء الذمة من التكليف، أما القبول فيتطلب درجة من درجات التقوى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧).

العيد يذكرنا بالتقوى:

ومن الأجزاء الواجبة في خطبتي صلاة العيد التذكير بتقوى الله تبارك وتعالى كتلاوة الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ﴾ (النساء:١)، وقد ورد مثل هذا الحث كثيراً في القرآن في إشارة واضحة إلى غياب هذه الحالة عن حياة الناس حتى المؤمنين.

فالعيد ـ بخطبتي صلاته ـ يعيد للمؤمنين هذه الحالة الروحية الوجدانية التي يستشعرها في حياته ويستحضرها في معاملاته وتصرفاته لتكون هي المقياس؛ لذا فسّروها في بعض الأقوال «أن يجدك الله حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك» فإذا أمرك بالصوم فيريد أن يجدك مع الصائمين وأمرك بالصلاة فلا بد أن يجدك مع المصلين ... وهكذا ونهاك عن الغيبة فيجب ان يفتقدك في مجالس الخائضين فيها ... وهكذا.

ذكر الله تعالى في العيد:

وفي هذا السياق دعا الأئمة عليهم السلام شيعتهم إلى الإكثار من ذكر الله تعالى والعمل الصالح يوم العيد، وعدم جواز الاشتغال باللعب والضحك ومما ورد في هذا المجال عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه نظر إلى ناس في يوم فطر يلعبون ويضحكون فقال لأصحابه والتفت إليهم: «إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه، فسبق فيه قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخيب في المقصرون وأيم الله لو كشف الغطاء لانشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته»[1].

وهكذا يعمق العيد هذا الركن الأول من ركني الإسلام في شخصية المؤمن).

ثم أنهى خطبته الأولى بقراءة سورة الكوثر، وبعد جلسة خفيفة قام إلى الخطبة الثانية.

توحيد الكلمة:

فبدأها بالحمد لله تبارك وتعالى ثم الصلاة على النبي وآله بأسمائهم فرداً فرداً وقال: (إن العيد يتكفل بترسيخ

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب صلاة العيد، باب ٣٧، ح٣.

الركن الثاني وهو توحيد الكلمة من خلال عملين:

الأول: الحث على التزاور والمعانقة والمصافحة ونبذ القطيعة والتباغض والتشاجر، وهذه الأساليب العملية لها دور فعال في حفظ تماسك المجتمع المسلم ووحدته وسيادة روح الألفة والمحبة بين أفراده فمن الأحاديث الواردة في المصافحة عن أبي جعفر عليه السلام قال «إِنَّ الْمُؤْمِنَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا فَتَصَافَحَا أَدْخَلَ اللَّهُ يَدَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَشَدِّهِمَا حُبّاً لِصَاحِبِهِ فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّهُ بِوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا الذُّنُوبُ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرِ»[1] وغيرها كثير، ولما علم الله تبارك وتعالى أن الناس يشتغلون خلال السنة بتفاصيل حياتهم اليومية فتقل اللقاءات بينهم خصوصاً مع تعقيد الحياة المعاصرة؛ لذا جعل العيد فرصة ليجددوا هذه العلاقات ويزيلوا عنها ما شابها من الكدر ونزعات الشيطان.

وهذا التماسك والتآلف هو الأساس الرصين لبناء أمة مزدهرة متقدمة قوية، وترى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أول ما عمل حين صدع بدعوته المباركة هي المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، ثم بعد ما هاجر آخى بين المهاجرين والأنصار كأول خطوة قبل أن يبدأ عمله الرسالي الواسع العظيم، وكان

(١) وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب العشرة، باب١٢٦، ح٧.

أصحابه صلى الله عليه وآله بمستوى المسؤولية فكان الأنصاري يتنازل للمهاجر عن نصف ماله حتى إذا كان له رغيفان أعطاه واحد وإذا كانت له زوجتان طلّق واحدة وتزوجها المهاجر.

وهكذا استطاع أن يبني رسول الله صلى الله عليه وآله دولته المباركة الحصينة في المدينة وانطلق منها ليفتح العالم لأنه صلى الله عليه وآله يعلم أنه لا تستقيم له دولة ولا يستطيع أن يبلّغ رسالة ربه، وأصحابُه متقاطعون متباغضون يلعن بعضهم بعضاً، ويفسق بعضهم بعضاً فكان لا يسمع كلام أحدهم السيئ عن الآخر ويقول لهم «أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَ أَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»، وبذلك قطع هذه المادة الأساسية للتقاطع وسوء الظن وهي النميمة ونقل نقائص الآخرين وتشويه سمعتهم وتسقيطهم.

فما أحوجنا اليوم إلى وعي هذه العملية المباركة التي قام بها المصلح العظيم وباني دولة الإسلام العظيمة، ولو سألتني عن أهم معوق للعمل الإسلامي في الفترة التي تلت بعد سقوط الطاغية لأجبتك إنه هذا التقاطع والتشنج في العلاقات والتزاحم على المواقع الدينية والسياسية والاجتماعية ـ رغم أنها كلها إذا خلت من الإخلاص لله تعالى فهي لا تعدو كونها دنيا زائفة وزائلة ـ مما أنهك الأمة وأضعفها وجعلها نهباً للأعداء يطمع فيها كل قريب وبعيد، وأضاع

الكثير من فرص التقدم ومشاريع بناء الأمة المتكاملة وهدر الطاقات وأمات الآمال التي انتعشت في يوم ما.

إننا بإذن الله تعالى مقبلون على عملية انتخابات، وقد بذلت الأمة وقياداتها جهوداً مضنية لإقرارها حتى رضخت الأطراف المعنية، ونحن نريدها أن تكون نزيهة ومنافسة شريفة لتقدم الأكفاء وتحكيم إرادة الأمة في من يقودها، لكنهم سيعملون لتحقيق مصالحهم من خلال هذه العملية، وليس من الضروري أن تتطابق المصالح فستستمر حالة التجاذب والتدافع ليحقق كل طرف ما يريد ﴿لَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).

ومحل الشاهد أن من السلبيات المتوقعة والتي سيعمل الأعداء على ترسيخها هي حالة المهاترات الكلامية وتبادل الاتهامات ومحاولة التسقيط والتشويه والإلغاء والإقصاء التي ستتبعها الفئات المتنافسة بشتى الوسائل المتاحة من أجل إرضاء أنانياتهم وتحقيق مصالحهم الشخصية أو الفئوية، مما سيمزق الأمة بشكل أوسع وها نحن ننبه إلى هذا الخطر من وقت مبكر لأخذ الحيطة والحذر.

إن التنوع في التفكير والوصول إلى نتائج مختلفة استناداً إلى مقدمات متباينة حالة طبيعية ودليل على الإبداع، ولكي لا يجوز لها ان تتجاوز حدودها الايجابية لتؤدي إلى التقاطع والتناحر.

إننا نشهد اليوم تمزقاً على صعيد الوطن فبعض الأكراد ينادون بالانفصال في الشمال وآخرون يطالبون بانفصال الجنوب وأسيئ معنى الفدرالية.

ونشهد تمزقاً على صعيد الدين فهؤلاء المتحجرون الجهلة الحاقدون يقتلون ويدمرون ويفجرون بلا رادعٍ من دين أو أخلاق أو إنسانية وبوسائل وحشية، وحوادث اللطيفية والمحمودية والسيارات المفخخة والاغتيالات بعض الشواهد على ذلك، يريدون أن يجروا البلاد والعباد إلى حرب طائفية تهلك الحرث والنسل، وينفذوا خطط أعداء الأمة من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ولولا حكمة المرجعية الشريفة وحلمها وبصيرتها وورعها ووعي الأمة وطاعتها لقيادتها الدينية لما بقي المجتمع على حاله اليوم.

ونشهد تمزقاً داخل المذهب الواحد بسبب اختلاف التوجهات الفكرية والقناعات المتعددة وهكذا تستمر الانشقاقات بشكل لا يُسِّر الصديق ويدمي قلب كل غيور.

ومع هذا الوضع الخطير كيف ستبنى الأمة وتزدهر البلاد وكيف سنحقق السلام والسعادة لأبناء الشعب لذا يجب أن يثوب الجميع إلى رشدهم وينظروا بعين الناقد البصير ويعودوا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان أول عمل هو تأليف قلوب أتباعه وتوحيد شملهم وبناء مجتمع متماسك محذراً إياهم من مغبة التفرق والتشتت التي يكون أول نتائجها ذهاب القوة والدولة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ (آل عمران:١٠٣) .

ولمراسيم العيد وسننه ومستحباته الدور الكبير في سيادة روح المحبة والتصافي بين أفراد الأمة.

الثاني: التذكير وإلفات النظر إلى القيادة الحقيقية للأمة التي أمر الله تبارك وتعالى باتباعها «وجعل إمامتنا نظاماً للملة»[١]، فالإمامة والقيادة الشرعية للأئمة المعصومين عليهم السلام وامتدادهم من الفقهاء العدول الجامعين للشرائط هو الحصن الذي يحمي الأمة من التفكك، وما تشتتت الأمة وما تمزقت إلا حينما أعرضت عن قيادتها

(١) من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله.

الحقيقية.

وهذا المعنى يؤكده العيد ويرسخه في قلوب المؤمنين من خلال الحث الأكيد على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفهم معاني ثورته المباركة، ومن خلال دعاء الندبة الذي ورد استحباب قراءته في الأعياد وهو دعاء جليل يذكّر الناس بالركب الكريم من أنبياء الله ورسله والأئمة المعصومين والأولياء الصالحين الذين بلّغوا رسالات ربهم وأدوا ما عليهم وقدمّوا التضحيات الجسيمة التي يشير إليها الدعاء.

ثم يركز في خطابه على الإمام المهدي عليه السلام باعتباره الإمام الفعلي والقائم بأعباء الرسالة الإلهية الشريفة والمدخر لإقامة الحق والعدل وإزالة الأمت والعوج، وليذكرنا أن العيد الحقيقي هو يوم إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض على يد الأمناء من عباده.

هذا هو يوم العيد في شرفه، وهذا هو يوم العيد في معطياته وهذا هو دور يوم العيد في حياة المسلمين.

ويبقى «كل يوم لم تعص الله فيه فهو عيد» هو شعار المؤمنين وخلاصة نظرتهم إلى معنى العيد.

جعلنا الله وإياكم من أهل طاعته ورزقنا وإياكم مرافقة أوليائه في بحبوحة جناته إنه ولي النعم.

الفصل السابع

كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد

كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد[1]

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

موعظة:

قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ (البقرة:١٩٧).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْصَحَ سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَنَارَ طُرُقَهُ، بِشَقْوَةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ سَعَادَةٍ دَائِمَةٍ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى السَّيْرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ، أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ، وَ مَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلُبُهُ، وَيَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَ حِسَابُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ وَ لَا فِيمَا

(١) خطبتا عيد الفطر السعيد للعام ١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/٨/٢٠، والعنوان كلمة لأمير المؤمنين وردت في نهج البلاغة، الحكمة (٤٢٨).

نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَ يَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ»[1].

ومن خطبة له عليه السلام: «أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ، زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ» «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ، الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي فَـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:١٠٢))[2].

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى التقوى وتفسيرها، فاختصر عليه السلام الجواب بقوله: «أن لا يَفقِدُكَ اللّهُ حَيثُ أمَرَكَ، وَلا يَراكَ حَيثُ نَهاكَ»[3].

فللتقوى ركنان:

(الأول) ترك ما يكره الله تبارك وتعالى ويسخطه، وهو أوسع من المحرمات فيشمل المكروهات المؤثرة في تكامل

(١) نهج البلاغة: الخطبة (١٥٧).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة (١١٤).

(٣) بحار الأنوار: ٢٨٥/٧٠، ح٨.

الإنسان وتقربه من الله تعالى.

(الثاني) فعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وهو أعم من الواجبات فيشمل المستحبات الموجبة لرضا الله تبارك وتعالى ومحبته.

فمن أراد الكمال سار بهذين الطريقين معاً، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فمن قام ببعض الطاعات لكنه لم يجتنب المعاصي والعياذ بالله، فإنه يهدم ما بناه بتلك الطاعات وسوف لا يقوم له بناء أبداً، روي عن المعصومين عليهم السلام قولهم: «جِدُّوا وَاجْتَهِدُوا، وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا فَلَا تَعْصُوا، فَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَلَا يَهْدِمُ يَرْتَفِعُ بِنَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ يَسِيراً وَإِنَّ مَنْ يَبْنِي وَيَهْدِمُ يُوشِكُ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ بِنَاؤُهُ»[1].

ونفس المعنى يجري في الأمراض البدنية، فإن من ابتلي بمرض معين ـ كالسكري أجاركم الله تعالى منه ـ فإن الطبيب يأمره بأخذ بعض العلاجات وينهاه عن ارتكاب بعض الأفعال أو تناول أطعمة تضره بكميتها أو نوعها، فإذا أراد الحفاظ على صحته فلا بد أن يأخذ بهما معاً.

ولو حاولنا ترجيح أحد الركنين على الآخر أو قل بيان أيهما أهم وأكثر تأثيراً في تحصيل التكامل فإن الجواب

(١) بحار الأنوار: ٢٨٦/٧٠، ح٨.

يكون لصالح الاجتناب عما يسخطه الله تبارك ويكرهه، وقد دلّت عليه بعض الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اجْتِنَابُ السَّيِّئَاتِ، أَوْلَى مِن اكْتِسَابِ الْحَسَنَاتِ»[1]، ومنها ما ورد في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في آخر جمعة من شعبان لاستقبال شهر رمضان، وسأله علي عليه السلام عن أفضل الأعمال في هذا الشهر قال صلى الله عليه وآله: «الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ».

معرفة الذنوب:

فمعرفة الذنوب ــ بمداها الواسع ومراتبها الكثيرة بحسب مستويات الأشخاص ـ وتحصيل القدرة على اجتنابها ـ صغيرها وكبيرها ـ مما يهتم به الساعون إلى الكمال، لذا فقد شُغل حيز كبير من القرآن الكريم ببيان الذنوب وآثارها في الدنيا وعاقبتها في الآخرة والتحذير منها وبيان ما يكفّرها ويزيل آثارها، وقصص الأمم التي عكفت على المعاصي ولم تجتنبها وما حلّ بها من العذاب بسبب ذلك، والحياة السعيدة لمن اجتنبها، ولو حاولنا جمعها لوجدنا أن القرآن الكريم كله يعالج هذه القضية بشكل مباشر أو غير مباشر.

(١) غرر الحكم: ١٥٢٢.

لماذا يذنب العبد؟

لا يمكن التقليل من قوة ضغط الذنوب والخطايا على الإنسان حتى يندفع إلى ارتكابها مع كثرة ما يعرف عن آثارها الوخيمة في الدنيا وعاقبتها الفظيعة في الآخرة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَ خُلِعَتْ لُجُمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ»[1] فالخطايا كالخيول العنيدة المتمردة على صاحبها ولا لجام لها ليمسك بها فتقتحم بصاحبها إلى المخاطر.

وهنا يأتي السؤال: من أين جاءت هذه القوة للخطايا؟ أو قل: إذا كانت الذنوب بهذه الخطورة وهذا التأثير المدمر في حياة الإنسان فلماذا يرتكبها، وهذا بحث نفسي واجتماعي وقد يحتاج إلى إجراء استبيان، ولكن يمكن استفادة بعض مناشئ الذنوب مما ورد في الروايات الشريفة، ينفع الالتفات إليها في اجتنابها وتوقيها، عن الإمام الباقر عليه السلام: «تَوَقِّي الصَّرْعَةِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الرَّجْعَةِ»[2]:-

١. الجهل بمقام الربوبية ووظائف العبودية، فإن من يعرف الله تعالى يتجنب المعاصي بمقدار تلك المعرفة ويؤتيه

(١) بحار الأنوار: ٣/٧٨، ح٥١.

(٢) بحار الأنوار: ١٨/٧٨، ح٣١.

الله تعالى فرقاناً يميز به بين الحق والباطل ﴿إِنْ تَتقوا اللهَ يَجعَل لَكُم فُرقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُم سَيئَاتِكُم وَيَغفِرْ لَكُم وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾ (الأنفال:٢٩)، حتى إذا اكتملت عنده المعرفة ــ كالمعصومين عليهم السلام ــ أصبح عبداً خالصاً لله تعالى ينفر بطبعه من المعصية ويتقزز منها، فمن رأى الغيبة على حقيقتها ووجدها أكلاً للحم أخيه ميتاً هل يقدم عليها؟ ومن رأى الدنيا جيفة قد اجتمعت عليها الكلاب هل يتنافس عليها، وهكذا.

ثم الجهل بأمور الدين، فما دام الإنسان لم يتفقه في دينه ولم يتعرف على ما يقربه إلى الله تعالى ويجنبه سخطه فإنه يتورط في المعاصي من حيث يعلم أو لا يعلم، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «جَهْلُ الْمَرْءِ بِعُيُوبِهِ مِنْ أَكْبَرِ ذُنُوبِهِ»[(١)]؛ وكتطبيق لهذا المبدأ فقد ورد في التجارة قول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ التِّجَارَةَ فَلْيَتَفَقَّهْ فِي دِينِهِ لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ مَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا يَحْرُمُ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي دِينِهِ ثُمَّ اتَّجَرَ تَوَرَّطَ الشُّبُهَاتِ»[(٢)].

والتحذير لا يختص بالتجارة وإنما يعم كل شؤون

(١) بحار الأنوار: ٩١/٧٨، ح ٩٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٨٣/١٢، كتاب التجارة، أبواب،/ آداب التجارة، باب ١، ح ٤.

الحياة؛ لأنها كلها مقنَّنة بأحكام في الشريعة، فالجهل بها يوقع في المعصية كجهل ربِّ الأسرة بأن كثيراً مما يفعله في البيت هو ظلم لزوجته وأسرته، والظلم ذنب لا يغفر حتى يرضى المظلوم.

٢. وجود الدوافع وأصول الذنوب في النفس الإنسانية المعبَّر عنها بالغرائز والشهوات والتي خلقت أصلاً لتؤدي أدواراً إيجابية في حياة الإنسان ولتكمّل قواه الأخرى كالعقلية والجسدية والقلبية، لكنها إذا خرجت عن حدّها إلى جانب الإفراط أو التفريط كان سبباً للوقوع في المعاصي، أشار إلى هذه القوى هشام بن الحكم في ما نقل عنه ابن أبي عمير في الاستدلال على عصمة الإمام عليه السلام قال: «إِنَّ جَمِيعَ الذُّنُوبِ لَهَا أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ لَا خَامِسَ لَهَا: الْحِرْصُ وَالْحَسَدُ وَالْغَضَبُ وَالشَّهْوَةُ، فَهَذِهِ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ ــ أي المعصوم ــ ثم بيّن ذلك) فراجعه[1].

٣. ويعاضدها الشيطان بالتزيين والإغواء والتطمين والتهوين من الأمر حتى يقارف الذنب والمعصية قال تعالى حاكياً عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي

(١) بحار الأنوار: ١٩٢/٢٥، ح١ عن كتب الشيخ الصدوق قدس سره معاني الأخبار والعلل والأمالي والعيون.

الأَرْضِ وَلأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَـادَكَ مِـنْهُمُ الْمُخْلَصِـينَ﴾ (الحجر: ٣٩-٤٠). وفـي دعـاء للإمـام السـجاد عليه السلام: «فَلَـوْ لَـا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَـاكَ عَـاصٍ، وَلَـوْ لَـا أَنَّـهُ صَوَّرَ لَهُمُ الْبَاطِلَ فِي مِثَالِ الْحَقِّ مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ ضَـالٌّ»[1].

وقد ورد التحذير من إغراء الشيطان وإغوائه كثيراً في القـرآن الكريم والروايات الشريفة مما لا يخفى على أحد.

هذا التـزيين الشـيطاني وهـذه الموافقـة لأهـواء الـنفس وشـهواتها جعـل للخطايـا تـأثيراً سـاحراً يسـكر صـاحبه حتـى يتورط فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «احْذَرْ سُـكْرَ الْخَطِيئَـةِ، فَـإِنَّ لِلْخَطِيئَةِ سُكْراً كَسُكْرِ الشَّرَابِ، بَلْ هِيَ أَشَدُّ سُكْراً مِنْـهُ، يَقُـولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾(البقرة: ١٨)»[2].

٤. الاغترار بالستر الإلهـي علـى العاصـين وعـدم فضـح الإنسان بذنبه «فَلَوِ اطَّلَعَ الْيَوْمَ عَلَى ذَنْبِي غَيْـرُكَ مَـا فَعَلْتُـهُ وَ لَـوْ خِفْتُ تَعْجِيلَ الْعُقُوبَةِ لَاجْتَنَبْتُهُ، لَا لِأَنَّكَ أَهْـوَنُ النَّـاظِرِينَ إِلَـيَّ وَ أَخَفُّ الْمُطَّلِعِينَ عَلَيَّ بَلْ لِأَنَّكَ يَا رَبِّ خَيْـرُ السَّـاتِرِينَ وَأَحْكَـمُ الْحاكِمِينَ.. وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.. سَتَّارُ الْعُيُوبِ غَفَّارُ الذُّنُوبِ عَلَّامُ الْغُيُوبِ تَسْـتُرُ الـذَّنْبَ بِكَرَمِـكَ وَ تُـؤَخِّرُ الْعُقُوبَـةَ» «الْحَمْـدُ لِلَّـهِ

(١) الصحيفة السجادية: الدعاء ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٢/٧٧، ح١.

الَّذِي يَحْلُمُ عَنِّي حَتَّى كَأَنِّي لَا ذَنْبَ لِي»[1].

وذلك كله لسعة رحمة الله وطول أناته على ذنوب عباده رحمة بالعباد وإعطاءهم مزيداً من الفرص للندم والرجوع والإقلاع عن الذنب، وحبّاً من الله لعباده وشفقة عليهم، فيتمادى الإنسان ويغتر، ظاناً أن الفرصة مفتوحة على الدوام، ولا يعلم أنه قد يوصله تماديه واغتراره إلى حد هتك الستر وانغلاق الباب وسدّ الفرصة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً، وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (النساء: ١٧-١٨).

٥. استصغار الذنب والاستخفاف به لما ارتكز في الذهن من أن الذنوب الموعود بها النار هي الكبائر أما غيرها فيمكن ارتكابها، وهذا التفكير بحد ذاته من الكبائر لما فيه من الجرأة على الله تعالى وعدم الاعتبار بعظمته وعلو شأنه وهو موجب لسخط الله وسلب اللطف عن العبد فتؤدي به هذه

(١) المقطعان من دعاء الإمام السجاد عليه السلام المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي.

الصغائر إلى الوقوع في الكبائر والعياذ بالله.

لذا كثر التحذير من استصغار أي ذنب، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا تَسْتَصْغِرُوا قَلِيلَ الْآثَامِ فَإِنَّ الصَّغِيرَ يُحْصَى وَيَرْجِعُ إِلَى الْكَبِيرِ»(١)، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص نَزَلَ بِأَرْضٍ قَرْعَاءَ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: ائْتُونَا بِحَطَبٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ بِأَرْضٍ قَرْعَاءَ مَا بِهَا مِنْ حَطَبٍ، قَالَ: فَلْيَأْتِ كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَجَاءُوا بِهِ حَتَّى رَمَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: هَكَذَا تَجْتَمِعُ الذُّنُوبُ ثُمَّ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طَالِباً، أَلَا وَإِنَّ طَالِبَهَا يَكْتُبُ ﴿ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾»(٢)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام «قال: أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ذَنْبٌ صَغُرَ عِنْدَ صَاحِبِهِ»(٣) وعنه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَخْفَى سَخَطَهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، فَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَتِهِ، فَرُبَّمَا وَافَقَ سَخَطَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ»(٤).

(١) الخصال: ٦١٦، ح١٠.

(٢) الكافي: ٢/٢٨٨، ح٣.

(٣) غرر الحكم: رقم ٣١٤١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٣/٣٤٩، ح٤٣.

٦. الغفلة، فإن كثيراً من الذنوب ـ وبعضها من الكبائر ـ ترتكب لا للجهل بها وإنما للغفلة كالغيبة التي يُعلم أنها من الكبائر ووصفها الله عز وجل بأشنع الأوصاف وهي إدام أهل النار، ومع ذلك فقد أصبحت الغيبة فاكهة المجالس والمادة الرئيسية للأحاديث، فينبغي للمؤمن أن يتجنب الغفلة بترك المقدمات الموجبة لها، وإذا عرضت عليه فليخرج منها فور التفاته؛ بذكر الله تعالى، قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١) وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الْغَفْلَةُ ضَلَالَةٌ»[١] وعنه عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالْغَفْلَةَ وَالِاغْتِرَارَ بِالْمُهْلَةِ، فَإِنَّ الْغَفْلَةَ تُفْسِدُ الْأَعْمَالَ»[٢]. ومن وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «هُمَّ بِالْحَسَنَةِ، وَ إِنْ لَمْ تَعْمَلْهَا، لِكَيْلَا تُكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ»[٣].

٧. سوء الخلق، عن النبي صلى الله عليه وآله: «لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ إِلَّا سُوءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّ صَاحِبَهُ كُلَّمَا خَرَجَ مِنْ ذَنْبٍ دَخَلَ فِي ذَنْبٍ»[٤].

٨. الاختلاط الكثير مع الناس ومجالسة البطّالين،

(١) غرر الحكم: ١٩٦، ٢٧١٧.

(٢) ميزان الحكمة: ٢٢٨٧/٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ٣٧٨/٢.

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/٧٧، ح٣.

والخوض في فضول الكلام، فهذه الأمور كلها مظنة الوقوع في الذنوب والمحرمات؛ لذا ورد التحذير من حضور هذه المجالس والمشاركة في اللغو الباطل ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (المدثر:٤٥)، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «مجالسة أهل الهوى منسأة[1] للإيمان ومحضرة للشيطان»[2]، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً في ما لا يعنيه»[3] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالْهَذَرَ، فَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَتْ آثَامُهُ»[6] وعنه عليه السلام: «الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ، فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً»[7].

٩. سوء فهم بعض ما ورد في الروايات الشريفة من الثواب على بعض الأفعال كدخول الجنة بالبكاء على الحسين عليه السلام وإقامة شعائره وشفاعة أهل البيت عليهم السلام، فقد أعطى الله تعالى هذه الكرامات لأهل البيت (سلام الله عليهم) رحمة بالعباد لكي تسدّ الخلل والتقصير والقصور مع حسن

(١) منسأة بفتح الميم والهمزة: أي تأخير وتأجيل.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٨٦.

(٣) و (٦) و (٧) منتخب ميزان الحكمة: ٥٥٢.

النية والعزم على فعل الخير والطاعة وبذل الوسع في ذلك، وليس بأن تكون سبباً للتمادي والجرأة والعناد واللجاجة، قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء:٢٨) وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وكما عبّر الإمام الرضا عليه السلام عن إعطاء هذه الدرجات أنه «بشرطها وشروطها» في حديث سلسلة الذهب المعروف.

وقد حذّر الإمام الصادق عليه السلام في وصيته عند وفاته وقد جمع أقرباءه ومتعلقيه: «إِنَّ شَفَاعَتَنَا لَا تَنَالُ مُسْتَخِفّاً بِالصَّلَاةِ»[1] وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لَا تَتَهَاوَنْ بِصَلَاتِكَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ: لَيْسَ مِنِّي مَن اسْتَخَفَّ بِصَلَاتِهِ»[2].

وقد لخّص الإمام السجاد عليه السلام ذكر هذه الأسباب لمقارفة الذنوب بما ورد عنه في الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الذي يدعى به في أسحار شهر رمضان، قال عليه السلام: «إِلَهِي لَمْ أَعْصِكَ حِينَ عَصَيْتُكَ وَأَنَا بِرُبُوبِيَّتِكَ جَاحِدٌ وَ لَا بِأَمْرِكَ مُسْتَخِفٌّ وَ لَا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَ لَا لِوَعِيدِكَ مُتَهَاوِنٌ، لَكِنْ خَطِيئَةٌ عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لِي نَفْسِي وَغَلَبَنِي هَوَايَ وَأَعَانَتْنِي

(١) مستدرك الوسائل: ٢٥/٣، ح٢٩٢٣.

(٢) الكافي: ٢٦٩/٣، ح٧.

عَلَيْهَا شِقْوَتِي، وَغَرَّتْنِي سِتْرُكَ الْمُرْخَى عَلَيَ» وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ تَهَيَّأْتُ وَ تَعَبَّأْتُ وَ قُمْتُ لِلصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَنَاجَيْتُكَ أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نُعَاساً إِذَا أَنَا صَلَّيْتُ وَسَلَبْتَنِي مُنَاجَاتِكَ إِذَا أَنَا نَاجَيْتُ مَا لِي كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ صَلَحَتْ سَرِيرَتِي وَقَرُبَ مِنْ مَجَالِسِ التَّوَّابِينَ مَجْلِسِي، عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أَزَالَتْ قَدَمِي... سَيِّدِي لَعَلَّكَ عَنْ بَابِكَ طَرَدْتَنِي، وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفّاً بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقَامِ الْكَاذِبِينَ فَرَفَضْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شَاكِرٍ لِنَعْمَائِكَ فَحَرَمْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ فَخَذَلْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الْغَافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلِفَ مَجَالِسِ الْبَطَّالِينَ فَبَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ خَلَّيْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعَائِي فَبَاعَدْتَنِي، أَوْ لَعَلَّكَ بِجُرْمِي وَجَرِيرَتِي كَافَيْتَنِي أَوْ لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيَائِي مِنْكَ جَازَيْتَنِي...»[1].

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي، تجده في مفاتيح الجنان، أعمال أسحار شهر رمضان.

كيف نحصل القدرة على اجتناب الذنوب؟

إن اجتناب الذنوب يحتاج أولاً إلى معرفة تفصيلية بها لأن بعضها وإن كان معلوماً كالكبائر إلا أن الكثير منها غير معلوم وبعضها لا يلتفت إليها أحد كعدم قضاء حوائج المؤمنين والاهتمام بها، ففي رواية عن الإمام الصادق وولده الكاظم عليهما السلام: «مَنْ أَتَاهُ أَخُوهُ فِي حَاجَةٍ يَقْدِرُ عَلَى قَضَائِهَا فَلَمْ يَقْضِهَا لَهُ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ شُجَاعاً يَنْهَشُ إِبْهَامَهُ فِي قَبْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَغْفُوراً لَهُ أَوْ مُعَذَّباً»[1] وهكذا غيرها مما ذكرناه في خطاب سابق وذكرنا أمثلة عليها من دعاء الإمام السجاد عليه السلام في الاستغفار من كل نعمة لم يشكرها أو ظُلم أحدٌ عنده فلم ينصره وهكذا، ناهيك بالمحرمات المعروفة، وهذا يتطلب تفقهاً واطلاعاً مستمراً على كتب السلف الصالح والاستماع دائماً إلى المحاضرات الإرشادية والوعظية.

ومما يقلل فرصة ارتكاب الذنب زيادة المعرفة بالله تعالى وتقوية العلاقة به تبارك وتعالى، كتذكر أنه محسن إلينا بما لا يعد ولا يحصى من النعم، و ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:٦٠) و ﴿أَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا

(١) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب فعل المعروف، باب ٢٥، ح٥، ٩، ١٠.

تَبْـغِ الْفَسَـادَ فِـي الأَرْضِ إِنَّ اللَّـهَ لا يُحِـبُّ الْمُفْسِـدِينَ﴾ (القصص:٧٧) وفي ذلـك يقـول أمير المـؤمنين عليه السلام: «لَـوْ لَـمْ يَتَوَعَّـدِ اللَّـهُ عَلَـى مَعْصِـيَتِهِ لَكَـانَ يَجِـبُ أَنْ لَـا يُعْصَـى شُـكْراً لِنِعَمِهِ»[1]، وعن الإمام الرضا عليه السلام في حديث قال: «وَلَـوْ لَـمْ يُخَوِّفِ اللَّهُ النَّاسَ بِجَنَّةٍ وَ نَارٍ لَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُـوهُ وَلَا يَعْصُوهُ لِتَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ وَإِحْسَانِهِ إِلَـيْهِمْ وَمَـا بَـدَأَهُمْ بِـهِ مِـنْ إِنْعَامِهِ الَّذِي مَا اسْتَحَقُّوهُ»[2].

أو الالتفات إلى أن الذنوب تمنع بعض عطاء الله تبارك وتعـالى ونحـن محتـاجون إليـه، عـن أمير المـؤمنين عليه السلام المؤمنين عليه السلام: «لَوْ لَمْ يُرَغِّبِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي طَاعَتِهِ لَوَجَبَ أَنْ يُطَاعَ رَجَاءَ رَحْمَتِهِ»[3].

أو تذكر أنك بمحضر الله تبارك وتعالى وتحت نظره ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض ﴿يَعْلَـمُ خَائِنَـةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر:١٩)، فمعصيته والحال هذه جرأة على جبار السماوات والأرض وتحدٍ لعظمته، من وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: «يَا أَبَا ذَرٍّ، لَـا تَنْظُـرْ إِلَـى صِغَرِ الْخَطِيئَـةِ وَ

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢٩٠.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١٨٠/٢.

(٣) غرر الحكم: ٧٥٦٤.

لَكِن انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ» ومن كلماته صلى الله عليه وآله: «لَا تَنْظُرُوا إِلَى صِغَرِ الذَّنْبِ وَلَكِن انْظُرُوا إِلَى مَن اجْتَرَأْتُمْ»[1].

أو أن يلتفت إلى أن هذا الذنب قد يوجب هتك الستر الذي ضربه الله تعالى عليه فتفضحه الذنوب، أو أن ينال به سخط الله تعالى وغضبه بحيث لا تنفعه توبة ولا تدركه الألطاف الإلهية، فقد أخفى الله غضبه في معصيته، فلا يُعلم أي معصية توجب ذلك فعلى العبد أن يتوفاها جميعاً، من دعاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وَإِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْس وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلَانُكَ إِلَى حَيْثُ النَّصَبِ وَالْحِرْمَانِ». في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الْمُؤْمِن اثْنَانِ وَسَبْعُونَ سِتْراً، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً انْهَتَكَ عَنْهُ سِتْرٌ، مِنْ تِلْكَ الْأَسْتَارِ فَإِنْ تَابَ رَدَّهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ سَبْعَةُ أَسْتَارٍ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا قُدُماً قُدُماً فِي الْمَعَاصِي تَهَتَّكَتْ أَسْتَارُهُ، فَإِنْ تَابَ رَدَّهَا اللَّهُ إِلَيْهِ وَعَ كُلِّ سِتْرٍ مِنْهَا سَبْعَةُ أَسْتَارٍ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا قُدُماً قُدُماً فِي الْمَعَاصِي تَهَتَّكَتْ أَسْتَارُهُ وَبَقِيَ بِلَا سِتْرٍ وَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَسْتُرَهُ بِأَجْنِحَتِهَا»[2].

وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ

(١) بحار الأنوار: ١٦٨/٧٧، ح٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٣/٧٣، عن نوادر الراوندي: ٦.

فَلَا يَعْمَلْهَا فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَعْمَلُ الْعَبْدُ السَّيِّئَةَ فَيَرَاهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَغْفِرُ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَداً»[1].

ومما يساعد على تجنب المعاصي أن يعلم بأن في ارتكاب الذنب إيذاءً وإساءة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام ولفاطمة الزهراء عليها السلام والأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) ونحن نحبهم ولا نريد إيذاءهم وهم مطّلعون على أعمال العباد، كما نطقت به الآية الكريمة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)، روي عن الإمام عليه السلام قال: «مَا لَكُمْ تَسُوءُونَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ فَقَالَ: رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَكَيْفَ نَسُوؤُهُ فَقَالَ أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَى فِيهَا مَعْصِيَةَ اللَّهِ سَاءَهُ ذَلِكَ، فَلَا تَسُوءُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسُرُّوهُ»[2].

ومن المعرفة الموجبة لتجنب المعاصي الالتفات إلى الهدف من وجودنا في هذه الدنيا وما ينبغي أن نصرف أعمارنا فيه مما يوصل إلى الغاية، وحينئذٍ سوف لا يكون للإنسان مجال للعب والعبث واللهو فضلاً عن ارتكاب المعاصي، عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إِنَّ الْعُقَلَاءَ تَرَكُوا فُضُولَ

(١) سفينة البحار: ٢١٦/٣، بحار الأنوار: ٣٠٨/٧٣.

(٢) مجالس المفيد: ١٩٦، المجلس ٢٣، ح٢٩.

الـدُّنْيَا، فَكَيْـفَ الـذُّنُوبَ؟ وَتَـرْكُ الـدُّنْيَا مِـنَ الْفَضْـلِ، وَ تَـرْكُ الذُّنُوبِ مِنَ الْفَرْضِ»[1].

آثار الذنوب في الدنيا والآخرة:

ومما يحفّز على ترك الذنوب معرفة آثارها في الدنيا والآخرة، ونتعرض هنا لبعض آثارها في الدنيا، أما في الآخرة ابتداءً من الموت وما بعده من أهوال البرزخ والحساب ويوم القيامة فإن في القرآن الكريم ما يكفي لبيان تلك العظائم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:٢) ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ (المزمل:١٧) ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة:٨١) ﴿قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الأنعام:١٥) ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل:٩٠) وأهون ما يذكر من تلكم الآثار الحجب عن النعيم مدة قد تطول كثيراً، في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْبَسُ عَلَى

(١) بحار الأنوار: ٣٠١/٧٨، ح ١.

ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ مِائَةَ عَامٍ وَ إِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ فِي الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمْنَ»[1].

إن معرفة هذه الآثار الوخيمة للذنوب توجب على كل عاقل اجتنابها، عن الإمام علي عليه السلام: «عَجِبْتُ لِأَقْوَامٍ يَحْتَمُونَ الطَّعَامَ مَخَافَةَ الْأَذَى كَيْفَ لَا يَحْتَمُونَ الذُّنُوبَ مَخَافَةَ النَّارِ»[2] وعن الإمام الباقر عليه السلام: «عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي مِنَ الطَّعَامِ مَخَافَةَ الدَّاءِ كَيْفَ لَا يَحْتَمِي مِنَ الذُّنُوبِ مَخَافَةَ النَّارِ»[3].

وقد حصلنا من الروايات على جملة من تلك الآثار:

١. قصر العمر وتعجيل الفناء بحيث يظهر من أقوال المعصومين شيء عجيب وهو: أن أكثر الناس لا يبلغون أعمارهم المقدرة بسبب الذنوب مما يسمى بالأجل المخروم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَوْتُ الْإِنْسَانِ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِنْ مَوْتِهِ بِالْأَجَلِ، وَحَيَاتُهُ بِالْبِرِّ أَكْثَرُ مِنْ حَيَاتِهِ بِالْعُمُرِ»[4]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ يَمُوتُ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَمُوتُ بِالْآجَالِ،

(١) الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، ح١٩.

(٢) تحف العقول: ٢٠٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦٩/٦٢، ح ٦٠.

(٤) سفينة البحار: ٢١٧/٣، بحار الأنوار: ٨٣/٧٨.

وَمَنْ يَعِيشُ بِالْإِحْسَانِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَعِيشُ بِالْأَعْمَارِ»[1]، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تَجَنَّبُوا الْبَوَائِقَ يُمَدَّ لَكُمْ فِي الْأَعْمَارِ»[2].

ومن الذنوب التي اشتهر أنها تعجل الفناء قطيعة الرحم، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ تُعَجَّلُ عُقُوبَتُهَا وَلَا تُؤَخَّرُ إِلَى الْآخِرَةِ، عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَالْبَغْيُ عَلَى النَّاس، وَكُفْرُ الْإِحْسَانِ»[3].

٢. إن الذنوب سبب للمصائب والآلام والنكبات التي يتعرض لها الفرد والمجتمع، في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِرْقٍ يَضْرِبُ وَلَا نَكْبَةٍ وَلَا صُدَاعٍ وَلَا مَرَضٍ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾»(الشورى:٣٠) ثم قال عليه السلام: «وَمَا يَعْفُو اللَّهُ أَكْثَرُ مِمَّا يُؤَاخِذُ بِهِ»[4]، وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن

(١) سفينة البحار: ٢١٧/٣، بحار الأنوار: ١٤٠/٥.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٣٦/٢.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٨٣/٣، ح٦٨٥٧.

(٤) أصول الكافي: ٢٦٩/٢، باب الذنوب، ح٣، وللمزيد من الاطلاع راجع قائمة بالذنوب التي تغيّر النعم والتي تنزل النقم والتي تهتك العصم والتي تعجل الفناء والتي ترد الدعاء في بحار

أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها» وقد تستحدث لهم بلاءات لم يكن يعرفونها من قبل، في الكافي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «كُلَّمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَ، أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ»[1].

٣. إنها توجب اسوداد القلب وانغلاقه فلا يستجيب للهداية، في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَفْسَدَ لِلْقَلْبِ مِنْ خَطِيئَتِهِ، إِنَّ الْقَلْبَ لَيُوَاقِعُ الْخَطِيئَةَ فَلَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ فَيَصِيرَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»[2] أي يصبح كالإناء المقلوب فلا يحتفظ بشيء من الحق والهدى ولا تؤثر فيه الموعظة، وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إِذَا أَذْنَبَ الرَّجُلُ خَرَجَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تَابَ انْمَحَتْ وَ إِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلِبَ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا يُفْلِحُ بَعْدَهَا أَبَداً» وشاهده من كتاب الله قوله تعالى: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤).

٤. نقص الرزق، في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال:

الأنوار: ٣٧٥/٧٣-٣٧٦ عن معاني الأخبار للصدوق: ٢٧٠-٢٧١.

(١) الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، ح٢٩.

(٢) أصول الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، ح١.

«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيُزْوى ـ أي يقبض ويصرف ـ عَنْهُ الرِّزْقُ»[1] وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا غضب الله عز وجل على أمة ولم يُنزل بها العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم تربح تجّارها ولم تُزك ثمارها ولم تغزر أنهارها وحبس عنها أمطارها وسُلّط عليها شرارها»[2].

٥. الحرمان من الطاعات خصوصاً المهمة منها كصلاة الليل أو النوم عن صلاة الصبح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ قَضَى قَضَاءً حَتْماً أَلَّا يُنْعِمَ عَلَى الْعَبْدِ بِنِعْمَةٍ فَيَسْلُبَهَا إِيَّاهُ حَتَّى يُحْدِثَ الْعَبْدُ ذَنْباً يَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ النَّقِمَةَ»[3] وعنه عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بَعَثَ نَبِيّاً مِنْ أَنْبِيَائِهِ إِلَى قَوْمِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ وَلَا أُنَاسٍ كَانُوا عَلَى طَاعَتِي فَأَصَابَهُمْ فِيهَا سَرَّاءُ فَتَحَوَّلُوا عَمَّا أُحِبُّ إِلَى مَا أَكْرَهُ إِلَّا تَحَوَّلْتُ لَهُمْ عَمَّا يُحِبُّونَ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ وَلَا أَهْلِ بَيْتٍ كَانُوا عَلَى مَعْصِيَتِي فَأَصَابَهُمْ فِيهَا ضَرَّاءُ فَتَحَوَّلُوا عَمَّا أَكْرَهُ إِلَى مَا أُحِبُّ».

(١) أصول الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، ح ٨.

(٢) ثواب الأعمال: ٣٠٥، الخصال: ٣٦٠/٢، الباب ٧، ح ٤٨.

(٣) أصول الكافي: ٢٧٣/٢، باب الذنوب، ح ٢٢.

وضرب القرآن الكريم مثلاً في سبأ[1] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلا فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ،

(١) بيان الشاهد: أنه كان لأهل سبأ بساتين ورياض غنّاء عن يمين بلادهم وشمالها وطلب منهم ربّهم أن يشكروا نعمه فأعرضوا فأرسل عليهم سيلاً من المطر الشديد والجرذ الذي نقب السد جزاءً لتمردهم، وجعل لهم على طول المسافة بينهم وبين الشام قرىً ليستريحوا ويتزودوا لسفرهم فكانوا يقيلون في قرية ويبيتون في أخرى حتى يصلوا آمنين من المخاوف والمضار فقال العصاة: باعد بين أسفارنا أي أزل القرى واجعل المسافات شاسعة في الصحراء ليصعب على غير التجار والمتمولين والمترفين السفر والتجارة ويحرموا الفقراء ويتباهون عليهم باتخاذ المراكب.

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (سبأ: ١٥-٢١).

وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن من الذنوب التي تغيِّر النعم وتعجِّل عقوبتها البغي على الناس.

٦. عدم استجابة الدعاء والإبطاء في تحقيق ما يطلبه الداعي، قال الباقر عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَسْأَلُ الْحَاجَةَ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا فَيَكُونُ مِنْ شَأْنِ اللَّهِ قَضَاؤُهَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَوْ وَقْتٍ بَعِيدٍ فَيُذْنِبُ الْعَبْدُ عِنْدَ ذَلِكَ ذَنْباً فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِحَاجَتِهِ لَا تُنْجِزْ لَهُ حَاجَتَهُ وَ احْرِمْهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ تَعَرَّضَ لِسَخَطِي وَ اسْتَوْجَبَ الْحِرْمَانَ»[1].

٧. نكد الحياة وشقاؤها وتعاستها، قال تعالى: ﴿وَمَن أَعرَضَ عَنْ ذِكرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحشُرُهُ يَومَ القِيَامَةِ أعمَى﴾ (طه:١٢٤) وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ، حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ، وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف: ٣٦-٤٠) فمن

(١) الاختصاص: ٣١.

يتعامى عن الحق واتباعه يخلّي الله تعالى بينه وبين شيطانه يغويه ويصده عليه السلام سبيل الله ويكون ملازماً له فيشقيه ويتعبه ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (فصلت: ٢٥).

٨. تشوّش الفكر وانشغال الذهن وسوء الحفظ والحرمان من العلم النافع المقرِّب إلى الله تعالى، بسبب الصراع الذي يعيشه ووخز الضمير وخوف الفضيحة والعقاب، والذلة الباطنية التي يحسّ بها، ولحرمانه من لطف الله تعالى، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «نَّ الْعَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَنْسَى بِهِ الْعِلْمَ الَّذِي كَانَ قَدْ عَلِمَهُ»[1]، وهو ما عبّر عنه الشاعر:

شكوت إلى وَكِيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وعلله بأن العلم نورٌ ونور الله لا يؤتى لعاصي

٩. ويعم أثر الذنوب حتى يتضرر به الآخرون وربما المجتمع كله، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ (الأنفال: ٢٥)، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «الذنب شؤم على غير فاعله، إن عيَّره ابتلي، وإن اغتابه أثم،

(١) بحار الأنوار: ٣٧٧/٧٣، ح ١٤.

وإن رضي به شاركه»[1].

والخلاصة:

أنه إذا أراد الإنسان أن يوفقه الله تعالى للمزيد من طاعته فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن يحيى حياة مطمئنة سعيدة صافي البال فليترك الذنوب.

وإذا أراد طول العمر بخير وعافية وسعة رزق فليترك الذنوب.

وإذا أراد أن تدوم عليه نعم الله وتقل عليه المصائب فليترك الذنوب.

وإذا أراد سلامة القلب واللحاق بالصالحين فليترك الذنوب.

ولذا كان يوم العيد الحقيقي هو كل يوم لم تجترح فيه ما يكرهه الله تبارك وتعالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأعياد: «إنما هو عيدٌ لمن قِبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد»[2].

(١) منتخب ميزان الحكمة: ح ٢٤٢٠.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٨.

العواصم من الذنوب:

وعلى رأس العواصم من الذنوب ـ وهو الأصل فيها ـ اللطف الإلهي الذي به عصم الله تعالى أنبياءه ورسله والصالحين من عباده قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٤).

في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عليه السلام أَنِ ائْتِ عَبْدِي دَانِيَالَ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ، وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ، فَإِنْ أَنْتَ عَصَيْتَنِيَ الرَّابِعَةَ لَمْ أَغْفِرْ لَكَ، فَأَتَاهُ دَاوُدُ عليه السلام فَقَالَ: يَا دَانِيَالُ، إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَهُوَ يَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ عَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ، وَعَصَيْتَنِي فَغَفَرْتُ لَكَ، فَإِنْ أَنْتَ عَصَيْتَنِيَ الرَّابِعَةَ لَمْ أَغْفِرْ لَكَ. فَقَالَ لَهُ دَانِيَالُ: قَدْ أَبْلَغْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ.

فَلَمَّا كَانَ فِي السَّحَرِ قَامَ دَانِيَالُ فَنَاجَى رَبَّهُ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّ دَاوُدَ نَبِيَّكَ أَخْبَرَنِي عَنْكَ: أَنَّنِي قَدْ عَصَيْتُكَ فَغَفَرْتَ لِي، وَعَصَيْتُكَ فَغَفَرْتَ لِي، وَعَصَيْتُكَ فَغَفَرْتَ لِي، وَأَخْبَرَنِي عَنْكَ أَنِّنِي إِنْ عَصَيْتُكَ الرَّابِعَةَ لَمْ تَغْفِرْ لِي، فَوَ عِزَّتِكَ لَئِنْ لَمْ تَعْصِمْنِي

لَأُعْصِيَنَّكَ، ثُمَّ لَأُعْصِيَنَّكَ، ثُمَّ لَأُعْصِيَنَّكَ»[1]، أي: يا رب إنك إن وكلتني إلى نفسي فإني لا أستطيع أن أعصمها من الذنوب إلا أن تعصمني أنت برحمتك.

ومن العواصم الدعاء والذكر واليقظة كلما اعترته، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل:٩٩)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَكْثِرِ الدُّعَاءَ تَسْلَمْ مِنْ سَوْرَةِ الشَّيْطَانِ»[2]، وقال عليه السلام: «تَحَرَّزْ مِنْ إِبْلِيسَ بِالْخَوْفِ الصَّادِقِ»[3].

(ومنها) تجنب الحضور والتواجد في الأجواء المساعدة على المعصية لقطع منافذ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء بحيث يصبح ارتكاب المعصية متعذراً، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ثَلَاثٌ مَنْ حَفِظَهُنَ كَانَ مَعْصُوماً مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَمِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ: مَنْ لَمْ يَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ يَمْلِكُ مِنْهَا شَيْئاً، وَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى سُلْطَانٍ، وَلَمْ يُعِنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ بِبِدَعِهِ»[4]؛ والإكثار من الوجود في المساجد ومجالس

(١) بحار الأنوار: ٣٦٢/٧٣، ح ٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٩/٧٨، ح ٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٤/٧٨، ح ١

(٤) بحار الأنوار: ١٩٧/٧٤، ح ٣٢.

الصالحين فإنها تمنع من الوقوع في الذنب، قال علي عليه السلام: «مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعَاصِي»[1]، وعنه عليه السلام: «مَن اخْتَلَفَ إِلَى الْمَسَاجِدِ أَصَابَ إِحْدَى الثَّمَانِ أَخاً مُسْتَفَاداً فِي اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَوْ عِلْماً مُسْتَطْرَفاً أَوْ آيَةً مُحْكَمَةً أَوْ رَحْمَةً مُنْتَظَرَةً أَوْ كَلِمَةً تَرُدُّهُ عَنْ رَدًى أَوْ يَسْمَعُ كَلِمَةً تَدُلُّهُ عَلَى هُدًى أَوْ يَتْرُكُ ذَنْباً خَشْيَةً أَوْ حَيَاءً»[2].

(ومنها) المراقبة والمحاسبة الدقيقة والمستمرة للنفس، والأحاديث الآمرة بذلك كثيرة، روى الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب الغيبة بسنده إلى أبي هاشم الجعفري

قال: (سمعت أبا محمد عليه السلام يقول: من الذُّنُوبِ الَّتِي لَا تُغْفَرُ قَوْلُ الرَّجُلِ: لَيْتَنِي لَا أُؤَاخَذُ إِلَّا بِهَذَا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الدَّقِيقُ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَفَقَّدَ مِنْ أَمْرِهِ وَمِنْ نَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ أَبُو مُحَمَّدٍ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ صَدَقْتَ فَالْزَمْ مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُكَ فَإِنَّ الْإِشْرَاكَ فِي النَّاسِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ وَ مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الْمِسْحِ الْأَسْوَدِ»[3].

(١) نهج البلاغة: ٥٣٥، الحكمة ٣٤٥.

(٢) الخصال: ج٢، باب الثمانية، ح ١٠.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥٩/٧٣، ح٧٨.

(ومنها) استعظام الذنب واستفضاع عاقبته، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ ذُنُوبَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُمَثَّلَةً وَالْإِثْمَ عَلَيْهِ ثَقِيلًا وَبِيلًا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرّاً أَنْسَاهُ ذُنُوبَهُ»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ صَخْرَةٍ يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْكَافِرَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ ذُبَابٌ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»

(ومنها) عدم الإعجاب بالنفس، وما يصدر منها من طاعات؛ لأن ذلك يوجب إيكال العبد إلى نفسه فيذنب حتى يكون له واعظاً ومؤدباتٍ من نفسه، في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ اللّهَ عَلِمَ أنّ الذنبَ خيرٌ للمؤمن من العُجْب، ولولا ذلك ما ابْتُلِيَ مؤمناً بذنبٍ أبداً»[2].

(١) والذي بعده تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٧٥/٣، ح ٦٧٩٤، ٦٧٩٥.

(٢) أصول الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، ح ١.

مكفّرات الذنوب:

إن الله تعالى يعلم ضعف العبد عن مسك زمام نفسه الأمّارة بالسوء ومقاومة غواية الشيطان وتزيين الشهوات ويعلم بجهل الإنسان بعواقب أفعاله، وهو أشفق على عباده وأرحم بهم من أنفسهم، وأكرم من أن يقابلهم على سيئاتهم بمثلها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ (فاطر:٤٥)، قال الإمام الصادق عليه السلام: «وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به»[1]، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِكُم وَيَعفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠).

فضاعف سبحانه وتعالى لهم الحسنات وتمهل في تسجيل السيئات، في الخصال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا همّ العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا همّ بسيئة لم تكتب عليه فإذا عملها أُجّل تسع ساعات فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم تكتب عليه وإن لم يندم ولم يتب كتبت عليه سيئة واحدة»[2]، وفي رواية

(١) أصول الكافي: ٢٦٩/٢، باب الذنوب، ح٣.

(٢) الخصال: ٤١٨/٢، باب التسعة، ح١١.

أخرى: قال الله تبارك وتعالى: «قد جعلت لهم التوبة أو بسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس الحنجرة، قال يا ربّ حسبي»[1] أي قال آدم عليه السلام حسبي تلك الفضائل لذريتي مما كان للشيطان من التأثير عليهم.

ثم لم يكتف سبحانه بكرمه ورحمته بذلك بل جعل لهم مكفرات لذنوبهم حتى يخفف عنهم أوزارهم التي احتملوها على ظهورهم بسوء أفعالهم ويلاحظ على تلك المكفرات أن بعضها اختيارية وبعضها غير اختيارية، فالاختيارية أفعال ينبغي للإنسان أن يقوم بها ليكفّر بها عن سيئاته وإن لم يفعل ابتلي بغير الاختيارية وهي أشق عليه، لذا ورد في بداية دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد عليه السلام: «إلهي لا تؤدبني بعقوبتك»، أما غير الاختيارية ـ كالأمراض ـ فهي أمور تعرض للإنسان بسبب منه أو من غيره فيعتبرها الله تعالى بكرمه كفارة لذنوب من تعرض لها، فعلى الإنسان أن يسعى بجد في طلب المغفرة والتكفير عن ذنوبه بالأسباب الاختيارية، وأن لا يجزع إذا حصل له ما يكفّر الذنوب، فإن بقاء ذنب واحد عليه إلى يوم القيامة كافٍ لفضيحته وإيلامه.

لذا ورد في أدعية شهر رمضان الاستعاذة من انقضائه أو

(١) بحار الأنوار: ٢٤٩/٧١، ح١١.

انقضاء الليلة التي هو فيها وقد بقي عليه ذنب أو تبعة يؤاخذه بها: «إلهي وأعوذ بوجهك الكريم وبجلالك العظيم أن ينقضي أيام شهر رمضان ولياليه ولك قبلي تبعة أو ذنب تؤاخذني به أو خطيئة تريد أن تقتصها مني لم تغفرها لي سيدي سيدي سيدي»[(١)].

من وصايا النبي صلى الله عليه وآله لابن مسعود: «يا ابن مسعود: لا تحقرن ذنباً ولا تصغّرنّه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ (آل عمران:٣٠)، يا ابن مسعود: إذا قيل لك: (اتقِ الله) فلا تغضب فإنه يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ (البقرة:٢٠٦)»[(٢)].

أما مكفرات الذنوب فهي: التوبة والاستغفار بصدق:

والتي تتضمن بحسب بيان أمير المؤمنين عليه السلام لمعنى الاستغفار الندم على ما صدر منه وعقد العزم بصدق على عدم العود ورد المظالم إلى أهلها وتدارك ما فاته من التقصير،

---

(١) من أدعية العشر الأواخر في شهر رمضان.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/٧٧.

وحينئذٍ يكفّر الله سيئاته وينسي الملائكة الحافظين ما كتبوا وكل الشهود بما فيهم جوارحه ويمحو عنه آثار تلك الذنوب والخطايا، ويكتب له بدل ذلك كله حسنات، قال تعالى: ﴿إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (الفرقان: ٧٠).

٢. القيام بالأعمال الصالحة والطاعات:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤) ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ (الطلاق: ٥).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا عملت سيئة فاعمل حسنة تمحها»[1]، وعنه صلى الله عليه وآله: «أوصيكم بتقوى الله.. وارحضوا بها ذنوبكم وداووا بها أسقامكم».

وورد هذا الأثر في أعمال كثيرة كزيارة الحسين عليه السلام وإحياء ليلة القدر وصوم بعض الأيام المعينة وبعض الصلوات المستحبة، وهي مذكورة في كتب السنن والمستحبات، نذكر

(١) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣/٣٨٧-٣٨٨، ح٦٨٩٣، ٦٨٩٥.

منها ما روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: (ثلاث ليالي من زار فيها الحسين عليه السلام غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ليلة النصف من شعبان والليلة الثالثة والعشرون مهر رمضان وليلة العيد» وورد في صوم ثلاث أيام الخميس والجمعة والسبت من الأشهر الحرم وهي «محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة» أنها كفارة ذنوب تسعمائة عام وهكذا.

٣. الصلاة في أوقاتها:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لَوْ كَانَ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ فَاغْتَسَلَ مِنْهُ كُلَ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ كَانَ يَبْقَى عَلَى جَسَدِهِ مِنَ الدَّرَنِ شَيْءٌ؟ إِنَّمَا مَثَلُ الصَّلَاةِ مَثَلُ النَّهَرِ الَّذِي يُنَقِّي كُلَّمَا صَلَّى صَلَاةً كَانَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ إِلَّا ذَنْبٍ أَخْرَجَهُ مِنَ الْإِيمَانِ مُقِيمٍ عَلَيْهِ»[١].

وننبه دائماً إلى أن مثل هذه الأمور تلحظ مع شروطها كقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْأَوْتَارِ وَ صُمْتُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَالْحَنَايَا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْكُمْ إِلَّا بِوَرَعٍ»[٢]، وكقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ صَلّى رَكْعَتَيْنِ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ

(١) بحار الأنوار: ٢٣٦/٨٢، ح٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥٨/٨٤، ح٦٥.

فِيهِمَا، انْصَرَفَ وَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ ذَنْبٌ)[1].

٤. الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قَارَفَ الذُّنُوبَ ابْتُلِيَ بِهَا بِالْفَقْرِ، فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا ابْتُلِيَ بِالْمَرَضِ، فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا ابْتُلِيَ بِالْخَوْفِ مِنَ السُّلْطَانِ يَطْلُبُهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَإِلَّا ضُيِّقَ عَلَيْهِ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ حِينَ يَلْقَاهُ وَمَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ يَدَّعِيهِ عَلَيْهِ فَيَأْمُرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ لَيُهَوَّنُ عَلَيْهِمَا خُرُوجُ أَنْفُسِهِمَا حَتَّى يَلْقَيَا اللَّهَ حِينَ»[2].

وعن الإمام الصادقعليه السلام **قال:** «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ سُوءاً أَمْسَكَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ حَتَّى يُوَافِيَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

(١) الكافي: ٢٢٦/٣، ح١٢.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٨٥/٣، ح٦٨٦٩.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٨٥/٣، ح٦٨٧٣.

٥. رعاية حرمة شهر رمضان:

من دعاء الإمام السجاد عليه السلام في وداع شهر رمضان «السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلذُّنُوبِ، وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ» «السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدْتَ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ» حتى روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «سمّي شوال شوالاً لأنّ فيه شالت ـ أي ارتفعت وذهبت ـ ذنوب المؤمنين فلم يبق فيه ذنب إلا غفره الله تعالى ببركة صيام شهر رمضان فإن أجر كل أجير يعطى عند ختمه للعمل»[1].

٦. الأمراض:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «السُّقْمُ يَمْحُو الذُّنُوبَ»[2]، وقال صلى الله عليه وآله: «سَاعَاتُ الْوَجَعِ يُذْهِبْنَ سَاعَاتِ الْخَطَايَا»، وقال صلى الله عليه وآله: «حُمَّى لَيْلَةٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ».

(١) مصابيح الجنان: ٥٩٩ عن السيد في الإقبال.

(٢) الأحاديث الثلاثة في ميزان الحكمة: ٣٨٦/٣، ح٦٨٧٦، ٦٨٧٧، ٦٨٦٨.

٧. الأحزان والهموم:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا كَثُرَتْ ذُنُوبُ الْمُؤْمِنِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يُكَفِّرُهَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِالْحُزْنِ لِيُكَفِّرَهَا بِهِ عَنْهُ»[(١)]، وقال صلى الله عليه وآله: «سَاعَاتُ الْهُمُومِ سَاعَاتُ الْكَفَّارَاتِ وَ لَا يَزَالُ الْهَمُّ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّى يَدَعَهُ وَ مَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ».

٨. إتيان المساجد:

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «عَلَيْكُمْ بِإِتْيَانِ الْمَسَاجِدِ فَإِنَّهَا بُيُوتُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَمَنْ أَتَاهَا مُتَطَهِّراً طَهَّرَهُ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَكُتِبَ مِنْ زُوَّارِهِ، فَأَكْثِرُوا فِيهَا مِنَ الصَّلَاةِ وَ الدُّعَاءِ»[(٢)].

٩. العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:

لأن هذه من أخلاق الله تبارك وتعالى وهو يجازي من اتصف بها بأكثر منها، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النور:٢٢)، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم العسرة»[(٣)]، ولكن مع الالتفات إلى معنى العفو ومنه ما قاله

---

(١) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣/٣٨٦-٣٨٧، ح٦٨٨٥، ٦٨٨٨.

(٢) منتخب ميزان الحكمة: ٣٠٧، ح٢٩٢٨.

(٣) منتخب ميزان الحكمة: ٤٣٩، ح ٤٣٢٩.

أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا عَفَا عَنْ الذَّنْبِ مِنْ قَرَعَ بِهِ»[1]. وفي دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللَّهُمَ إِنَّكَ أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ الْعَفْوَ وَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنَا وَ قَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاعْفُ عَنَّا فَإِنَّكَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنَّا»[2].

١٠. اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله والاستنان بسنته الشريفة في الأفعال والأقوال:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

١١. إغاثة الملهوف:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ»[3].

١٢. كفارات خاصة:

إن بعض الذنوب والتقصيرات لها كفارات خاصة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لَا يُكَفِّرُهَا صَلَاةٌ وَلَا صَوْمٌ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَمَا يُكَفِّرُهَا؟

(١) غرر الحكم: ٩٥٦٧.

(٢) من دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٨٨/٣، ح٦٨٩٩.

قَالَ: الْهُمُومُ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ»[1].

وما ورد في القول المشهور: «كَفَّارَةُ عَمَلِ السُّلْطَانِ الْإِحْسَانُ إِلَى الْإِخْوَانِ».

وما في قول النبي صلى الله عليه وآله: «مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا تُغْفَرُ إِلَّا بِعَرَفَاتٍ»[2].

ومن الكفّارات الخاصة ما ورد عند القيام من أي مجلس أو انفضاض أي لقاء أو اجتماع كان مشوباً بالغفلة عن الله تعالى فيقول: ﴿سُبحَانَ ربِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلِينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

١٣. حسن الخلق:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ يُذِيبُ الْخَطِيئَةَ كَمَا تُذِيبُ الشَّمْسُ الْجَلِيدَ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»[3].

١٤. كثرة السجود:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ

(١) ميزان الحكمة: ٣٨٧/٣، ح٦٨٨٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٢.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٨٨/٣، ح٦٨٩٨.

اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَثُرَتْ ذُنُوبِي وَضَعُفَ عَمَلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَكْثِرِ السُّجُودَ فَإِنَّهُ يَحُطُّ الذُّنُوبَ كَمَا تَحُطُّ الرِّيحُ وَرَقَ الشَّجَرِ»[1].

١٥. الحج والعمرة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةُ مَا بَيْنَهُمَا، وَالْحِجَّةُ الْمُتَقَبَّلَةُ ثَوَابُهَا الْجَنَّةُ وَمِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا تُغْفَرُ إِلَّا بِعَرَفَاتٍ»[2]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ...حَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ».

١٦. افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «إِنَّ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ عَلَى الْعَبْدِ يَكْتُبُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ فَأَمْلُوا بِأَوَّلِهَا وَآخِرِهَا خَيْراً يُغْفَرْ لَكُمْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ»[3].

(١) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠١.

(٢) الحديثان تجدهما في ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٢، ٦٩٠٣.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٤.

١٧. الصلاة على محمد وآله:

قال الإمام الرضاعليه السلام: «مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَا يُكَفِّرُ بِهِ ذُنُوبَهُ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْماً»[١].

١٨. سكرات الموت:

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ»[٢].

(١) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٥.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٨٩/٣، ح٦٩٠٦.

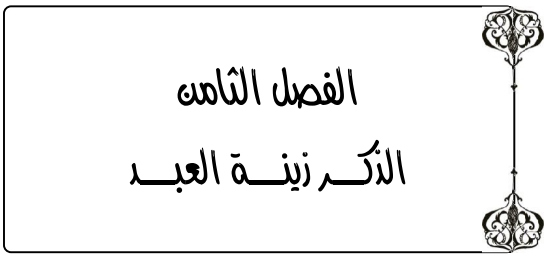

الفصل الثامن

الذكــر زينــة العبــد

الذِكر زينة العيد[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سادة خلقه أجمعين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين

الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أولانا.

المعنى الحقيقي للتزين:

من مستحبات العيد التزيّن، والمعنى المعروف منه هو التزيّن الظاهري الشكلي ولا بأس به، لكن أهل البيت عليهم السلام يدلّوننا على المعنى الحقيقي الواعي للتزين؛ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «زيّنوا أعيادكم بالتكبير» وعنه صلى الله عليه وآله: (زيّنوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس»[2].

(١)الخطبة الأولى لصلاة عيد الأضحى المبارك التي أقامها سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله يوم الجمعة الموافق ٢٠١٢/١٠/٢٦.

(٢) ميزان الحكمة: ٣٢٣/٦، باب ٢٩٦٢.

معنى التكبير:

وعن الإمام الصادقعليه السلام **قال:** «أكثروا من التهليل والتكبير فإنه ليس شيء أحبَّ إلى الله من التكبير والتهليل»[1]، ويشرح الإمام عليه السلام معنى التكبير في رواية عن أحد أصحابه قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أَيَّ شَيْءٍ اللَّهُ أَكْبَرُ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ عليه السلام: وَكَانَ ثَمَّ شَيْءٌ فَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ؟ قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ»[2].

وفي رواية أخرى «قَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ عليه السلام اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ؟ فَقَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام حَدَّدْتَهُ! فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ عليه السلام: قُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ»

الذكر في القرآن الكريم:

لقد أولى القرآن الكريم قضية (الذِكر) أي ذكر الله تعالى اهتماماً بالغاً لأهميتها وعظيم آثارها، حتى أن هذه المفردة ومشتقاتها تكررت في عشرات الآيات، والملاحظ أن ورودها في الآيات المكية حوالي ثلاثة أضعاف الآيات المدنية تقريباً حيث كان القرآن المكي يركّز على بناء عقيدة

(١) ثواب الأعمال: ١٨، باب ثواب لا إله إلا الله، ح١٣.

(٢) الحديث والذي يليه في معاني الأخبار: ١١

التوحيد وعلاقة المسلم بالله تعالى ونبذ الشركاء والأنداد وتطهير القلب وتهذيب النفس.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (آل عمران:٤١) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف:٢٠٥) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف:٢٤)، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (الأحزاب:٩)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الأحزاب: ٤١-٤٢)، وقال تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران:١٩١) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت:٤٥) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩) وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ (المزمل:٨).

وجاءت الأحاديث الشريفة لتؤكد هذه الأهمية، وتدعوا المؤمنين إلى ذكر الله تعالى على كل حال، ففي الخصال عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ سَيِّدُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: إِنْصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، ومُوَاسَاةُ الْأَخِ فِي اللَّهِ، وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» ، وروى الحسن بن علي عليه السلام قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: بَادِرُوا إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حَلَقُ الذِّكْرِ»[1].

معنى (ذكر الله على كل حال):

ونفهم من (على كل حال) عدة مستويات وكلها صحيحة ومستفادة من الآيات المتقدمة:

١. أي في كل زمان وفي كل آن، كما في الآية (٤١ من آل عمران) ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ و (الآية ٢٠٥ من

(١) معاني الأخبار: ٣٢١، أمالي الصدوق: ٢٩٧، المجلس ٥٨، ح٢.

الأعـراف) ﴿بِالْغُـدُوِّ وَالآصَـالِ﴾ عـن أبـي جعفـرعليه السلام قـال: «مكتوب في التوراة أن موسى سأل ربه فقال: إِنِّـي أَكُـونُ فِـي حَالٍ أُجِلُّكَ أَنْ أَذْكُرَكَ فِيهَا، فَقَالَ: يَا مُوسَى اذْكُرْنِي عَلَى كُل حَالٍ وَفِي كُلِّ أَوَانٍ»[1].

٢. أي في كل وضع من أوضاع الإنسان قائماً وقاعـداً وعلى جنوبهم كما فـي (الآيـة ١٩١ مـن آل عمـران) ﴿قِيَامـاً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾، وعن الإمام الباقرعليه السلام قال: «لَـا يَـزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَائِمـاً كَـانَ أَوْ جَالِساً أَوْ مُضْطَجِعاً إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللّـهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾».

٣. فـي كـل مكـان وموضـع كـان فيـه، عـن الإمـام الصادقعليه السلام: «إِنْ سَمِعْتَ الْأَذَانَ وَ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاءِ فَقُـلْ مِثْـلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ وَ لَا تَدَعْ ذِكْرَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِـي تِلْـكَ الْحَـالِ لِأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ حَسَنٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ» ثم ذكر عليه السلام المكتوب في التوراة أعلاه، وفي كتاب الخصال في حديث الأربعمائة قـال أمير المؤمنينعليه السلام: «اذكـروا الله فـي كـل مكـان فإنـه معكـم، وقالعليه السلام: «أَكْثِـرُوا ذِكْـرَ اللَّـهِ عَـزَّ وَجَـلَّ إِذَا دَخَلْـتُمُ الْأَسْـوَاقَ وَعِنْدَ اشْتِغَالِ النَّاسِ فَإِنَّهُ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ وَزِيَادَةٌ فِـي الْحَسَـنَاتِ

---

(١) هذا الحديث وما بعده بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣.

وَلَا تُكْتُبُوا فِي الْغَافِلِينَ»[1].

٤. في كل قضية تعرض لك وكل معاملة وكل قضية، فإن كان فيها رضا الله سبحانه فعلتها، وإلا تركتها، روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَشَدِّ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ ثَلَاثٌ، قُلْتُ: بَلَى قَالَ: إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَمُوَاسَاتُكَ أَخَاكَ، وَذِكْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ ذَاكَ وَ لَكِنْ ذِكْرُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ إِذَا هَجَمْتَ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ عَلَى مَعْصِيَةٍ»[2]. وفي حديث آخر عنه: «وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ طَاعَةُ اللَّهِ عَمِلَ بِهَا، وَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ مَعْصِيَةٌ تَرَكَهَا»[3].

٥. في كل حال من أحوال النفس من الغضب أو الرضا، والفرح أو الحزن، والغم والضيق أو الانشراح والسرور، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يقول الله عز وجل: يَا ابْنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ أَذْكُرْكَ عِنْدَ غَضَبِي،

(١) الخصال: ٦١٤/٢، باب الأربعمائة، ح ١٠.

(٢) معاني الأخبار: ١٩٢.

(٣) أمالي الطوسي: ٨٨، المجلس (٣)، ح ١٣٥.

فَلَا أَمْحَقْكَ فِيمَنْ أَمْحَقُ»[1]. وفي حديث: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ مِنْ حَقٍ، وَالَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي الْبَاطِلِ، وَالَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ يَأْخُذْ أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ»[2].

٦. أن يُعِدَّ لكل حالٍ ذِكره الخاص به، فللنعمة ذكر وللمصيبة ذكر وللقتال ذكر وللوضوء ذكر ولتناول الطعام ذكر وللنوم ذكر وللنكاح ذكر وللتخلي ذكر ولركوب السيارة ذكر، وهكذا، وهذا معنى شرحناه مفصلاً في كتاب (شكوى القرآن).

وخلاصة الوجوه أن معنى الذكر الكثير أن يكون الإنسان في جميع أحواله مطيعاً لله تبارك وتعالى، عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام «قال النبي صلى الله عليه وآله: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته»[3].

(١) أمالي الطوسي: ٢٧٩، المجلس (١٠) ح ٥٣٢.

(٢) الكافي: ١٨٣/٢.

(٣) معاني الأخبار: ٣٩٩.

جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر:

فضل مجالس الذكر: كهذا الحشد الذي نذكر فيه الله تعالى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:-

١. عن النبي صلى الله عليه وآله **قال:** «مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا نَادَى بِهِمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: قُومُوا فَقَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ وَ غُفِرَ لَكُمْ جَمِيعاً، وَمَا قَعَدَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَعَدَ مَعَهُمْ عِدَّةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ».

٢. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله **خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ** فَقَالَ: «ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ، اغْدُوا وَرَوِّحُوا وَاذْكُرُوا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ الْعَبْدَ حَيْثُ أَنْزَلَ الْعَبْدُ اللَّهَ مِنْ نَفْسِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرَ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ذِكْرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ: فَقَالَ أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»

وعن الإمام الصادق عليه السلام **عن آبائه** عليهم السلام «أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ عَنِ الْفَارِّينَ وَ الْمُقَاتِلُ عَنِ الْفَارِّينَ نُزُولُهُ الْجَنَّةُ»(١) فأكثر اجتماعات الناس

(١) المحاسن: ١١٠/١، ح٩٩.

تتخللها أحاديث فارغة لا جدوى منها، وقد تتضمن محرمات، فمن يلتفت حينئذٍ إلى ذكر الله تعالى يكون من أهل هذا الحديث.

٣. وعن الإمام الصادقعليه السلام **قال:** «الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ وَ يُذْكَرُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِيهِ تَكْثُرُ بَرَكَتُهُ وَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ وَتَهْجُرُهُ الشَّيَاطِينُ وَيُضِيءُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يُضِيءُ الْكَوْكَبُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ» ولتلافي الغفلة التي تحصل في بعض المجالس والأحاديث، فقد ورد استحباب أن يقول الشخص عند قيامه من المجلس: ﴿سُبحَانَ ربِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى المُرسَلِينَ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

جزاء الذكر وآثاره:

إن التوفيق لذكر الله تعالى من أعظم النعم على العبد، من دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «إِلَهِي لَوْ لَا الْوَاجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاكَ عَلَى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي لَا بِقَدْرِكَ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدَارِي حَتَّى أُجْعَلَ مَحَلًّا لِتَقْدِيسِكَ وَ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرَيَانُ ذِكْرِكَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا» إلى أن يقول عليه السلام: «وقلتَ وقولك الحق: ﴿فَاذكُرُونِي أذكُركُم﴾ فأمرتنا بذكرك ووعدتنا عليه أن تذكرنا تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً، وها نحن ذاكروك كما أمرتنا، فأنجز لنا ما وعدتنا،

يا ذاكر الذاكرين»[1].

ومما ورد في كتاب الله تعالى:ـ

١. ذكر الله سبب لطمأنينة القلب وما أعظمها من نتيجة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، ومن آثار الطمأنينة الأُنس، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ذِكْرُ اللَّهِ يُنيرُ الْبَصَائِرَ وَ يُونِسُ الضَّمَائِرَ» وعنه عليه السلام: «ذَاكِرُ اللَّهِ مُؤَانِسُهُ» وعنه عليه السلام: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُؤْنِسُكَ بِذِكْرِهِ فَقَدْ أَحَبَّكَ، وإِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُؤْنِسُكَ بِخَلْقِهِ وَيُوحِشُكَ مِنْ ذِكْرِهِ فَقَدْ أَبْغَضَكَ».

٢. أنه سبب ليقظة القلب من غفلته، وحياته بعد قسوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ اسْتَبْصَرَ» وعنه عليه السلام: «مَنْ كَثُرَ ذِكْرُهُ اسْتَنَارَ لُبُّهُ» وعنه عليه السلام: «دَوَامُ الذِّكْرِ يُنيرُ الْقَلْبَ وَالْفِكْرَ».

٣. إن الله تعالى يذكر من ذكره، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢)، وفي عدة الداعي: (يعني اذكروني بالطاعة والعبادة

(١) مفاتيح الجنان: ٢٠٦، المناجاة (١٣) مناجاة الذاكرين.

أذكركم بالنعم والإحسان والرحمة والرضوان، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يا ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي فِي نَفْسِكَ أَذْكُرْكَ فِي نَفْسِي، ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي فِي خَلَاءٍ أَذْكُرْكَ فِي خَلَاءٍ، ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي فِي مَلَإٍ أَذْكُرْكَ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَائِكَ، وَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي مَلَإٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»[1].

٤. إن الذكر سبيل موصل إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ (المزّمِّل: ١٩) (الإنسان:٢٩).

جزاء الذكر في الأحاديث الشريفة:

أما الأحاديث الشريفة فقد ورد فيها الشيء الكثير:-

١. إن الذكر يوجب محبة الله تعالى للذاكر، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يَا رَبِّ وَدِدْتُ أَنِّي أَعْلَمُ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبَّهُ، فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي يُكْثِرُ ذِكْرِي فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِي لَا يَذْكُرُنِي فَأَنَا حَجَبْتُهُ وَ أَنَا أُبْغِضُهُ»، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قَالَ رَسُولُ

(١) أكثر الأحاديث المذكورة نقلناها عن مصادرها بواسطة: بحار الأنوار: ١٤٨/٩٣-١٧٥، وميزان الحكمة: ٣٤١/٣-٣٦٠.

اللَّهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ اللَّهِ ـ عَزَّ وَ جَلَّ ـ أَحَبَّهُ اللَّهُ».

٢. وأن الله تعالى يتولى أمر الذاكر وجميع شؤون حياته في دنياه وآخرته، فكم يكون الإنسان سعيداً حينما يتولى شؤونه محبٌّ له شفيق عليه حكيم بأفعاله عالم بكل شيء إلى غيرها من الأسماء الحسنى، ففي بعض الأحاديث القدسية قال الله تعالى: «أَيُّمَا عَبْدٍ اطَّلَعْتُ عَلَى قَلْبِهِ فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكَ بِذِكْرِي تَوَلَّيْتُ سِيَاسَتَهُ وَكُنْتُ جَلِيسَهُ وَمُحَادِثَهُ وَأَنِيسَهُ»، وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا عَلِمْتُ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى عَبْدِي الِاشْتِغَالُ بِي نَقَلْتُ شَهْوَتَهُ فِي مَسْأَلَتِي وَمُنَاجَاتِي، فَإِذَا كَانَ عَبْدِي كَذَلِكَ فَأَرَادَ أَنْ يَسْهُوَ حُلْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَسْهُوَ، أُولَئِكَ أَوْلِيَائِي حَقّاً، أُولَئِكَ الْأَبْطَالُ حَقّاً، أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُهْلِكَ أَهْلَ الْأَرْضِ عُقُوبَةً زَوَيْتُهَا عَنْهُمْ مِنْ أَجْلِ أُولَئِكَ الْأَبْطَالِ»، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ شُغِلَ بِذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي مَنْ سَأَلَنِي»، وروي فيما ناجى به موسى عليه السلام ربَّه عز وجل: «إلهي ما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه؟ قال: يا موسى أُظلُّه بظل عرشي وأجعله في كنفي»[1].

(١) أمالي الصدوق: ١٧٣، المجلس (٣٧) ح٨.

٣. أنه يوجب الثواب العظيم فعنهم (سلام الله عليهم): «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قِيعَاناً فَإِذَا أَخَذَ الذَّاكِرُ فِي الذِّكْرِ أَخَذَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي غَرْسِ الْأَشْجَارِ فَرُبَّمَا وَقَفَ بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ فَيُقَالُ لَهُ: لِمَ وَقَفْتَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ صَاحِبِي قَدْ فَتَرَ، يَعْنِي عَنِ الذِّكْرِ»[١]. وعن أحد الإمامين الصادقين عليهما السلام قال: «لَا يَكْتُبُ الْمَلَكُ إِلَّا مَا أَسْمَعَ نَفْسَهُ وَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ قَالَ: لَا يَعْلَمُ ثَوَابَ ذَلِكَ الذِّكْرِ فِي نَفْسِ الْعَبْدِ لِعَظَمَتِهِ إِلَّا اللَّهُ»[٢].

٤. الذكر الطيب، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «مَن اشْتَغَلَ بِذِكْرِ اللَّهِ طَيَّبَ اللَّهُ ذِكْرَهُ»، ومن وصية النبي صلى الله عليه وآله **لأبي ذر** قال: «عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَ ذِكْرِ اللَّهِ كَثِيراً فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ وَ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ»[٣].

٥. يقيه الكثير من الحوادث، عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَ الصَّاعِقَةَ لَا تُصِيبُ ذَاكِراً لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ١٦٢/٩٣-١٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٥٩/٩٣، ح٣٦.

(٣) معاني الأخبار: ٣٣٤، الخصال: ٥٢٥/٢، أبواب العشرين وما فوقه، ح١٣.

(٤) أمالي الصدوق: ٣٧٥، المجلس (٧١) ح٣.

٦. في الذكر إعمار القلب وصلاحه وهذا القلب هو الذي ينجو صاحبه يوم القيامة، من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: «أوْصِيك بتَقْوَى اللَّه، أي بُنَيَّ، ولُزُوم أمره، وعِمارَة قلبك بذكْره» وعنه عليه السلام: «أَصْلُ صَلَاحِ الْقَلْبِ اشْتِغَالُهُ بِذِكْرِ اللَّهِ» وعنه عليه السلام: «مُدَاوَمَةُ الذِّكْرِ قُوتُ الْأَرْوَاحِ وَمِفْتَاحُ الصَّلَاحِ» وعنه عليه السلام: «مَنْ عَمَرَ قَلْبَهُ بِدَوَامِ الذِّكْرِ حَسُنَتْ أَفْعَالُهُ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ».

٧. وبالذكر تحيى القلوب، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «بذكر الله تحيى القلوب، وبنسيانه موتها»، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً خَالِصاً تَحْيَوْا بِهِ أَفْضَلَ الْحَيَاةِ، وَ تَسْلُكُوا بِهِ طَرِيقَ النَّجَاةِ» وعنه عليه السلام: «من ذكر الله سبحانه أحيى الله قلبه ونوّر عقله ولبّه».

٨. وبه شفاء القلوب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذكر الله شفاء القلوب»، وعنه صلى الله عليه وآله: «عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء»، وفي دعاء كميل: «يَا مَن اسْمُهُ دَوَاءٌ وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ».

٩. بالذكر يطرد الشيطان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أَنَ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ ـ أي فمه ـ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ

الْخَنَّاسُ» وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ذِكْرُ اللَّهِ مَطْرَدَةُ الشَّيْطَانِ» وعنه عليه السلام: «ذِكْرُ اللَّهِ رَأْسُ مَالِ كُلِ مُؤْمِنٍ، وَرِبْحُهُ السَّلَامَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ».

١٠. وأن في الذكر أماناً من النفاق، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أكثر من ذكر الله فقد برئ من النفاق».

خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) في فضل الذكر:

ولأمير خطبة جامعة في فضل الذكر والذاكرين قالها عند تلاوته عليه السلام قولَه تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ﴾ قال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جَلاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَ تَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَ مَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ. وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ. وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ

بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ»[1].

من مصاديق الذكر الكثير:

١. تسبيح الزهراء عليها السلام عقب كل فريضة، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث يقول في آخره: «تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ مِنَ الذِّكْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي قاله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾»[2] وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: إنه «التَّسْبِيحِ فِي دُبُرِ كُلِ صَلَاةٍ ثَلَاثُونَ مَرَّةً»[3].

٢. وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه (صلوات الله عليهم وسلامه) قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ وَإِنْ قَلَّتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَتِلَاوَتُهُ، وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَقَدْ نَسِيَ اللَّهَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَتِلَاوَتُهُ لِلْقُرْآنِ».

٣. وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكراً كَثِيراً﴾ قال عليه السلام: «إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَ ذَلِكَ كَثِيراً»[4].

(١) نهج البلاغة.

(٢) معاني الأخبار: ١٩٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٣٤٤/٣، ويحتمل أن المقصود به هنا (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله الأكبر).

(٤) بحار الأنوار: ١٦٠/٩٣، ح٣٨.

٤. **وعنه عليه السلام قال:** «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ فِي السِّرِّ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً، إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَلَانِيَةً وَ لَا يَذْكُرُونَهُ فِي السِّرِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء:١٤٢)»[1].

خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر:١٩).

الروايات المحذرة من الغفلة:

ومن الروايات المحذِّرة من الغفلة عن ذكر الله تعالى:-

١. **روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:** «ما من ساعة تمرُّ بابن آدم لم يذكر الله فيها إلا حسِر عليها يوم القيامة»[2].

(١) بحار الأنوار: ٩٣/١٦٠، ح٤١.

(٢) ميزان الحكمة: ٣/٣٤٤.

٢. وفي عدة الداعي روى الإمام الصادقعليه السلام **عن رسول الله**صلى الله عليه وآله **أنه قال:** «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ فَلَمْ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وآله إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً وَوَبَالًا عَلَيْهِمْ».

٣. وفي تتمة الحديث السابق[١] **عن الإمام الصادق**عليه السلام **قال:** «والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يذكر فيه الله تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين».

٤. وروى الإمام الصادقعليه السلام **عن أبيه**عليه السلام **قال:** «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَى مُوسَى عليه السلام يَا مُوسَى عليه السلام: لَا تَفْرَحْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ وَلَا تَدَعْ ذِكْرِي عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ تُنْسِي الذُّنُوبَ وَ إِنَّ تَرْكَ ذِكْرِي يُقْسِي الْقُلُوبَ»[٢].

٥. عن أمير المؤمنينعليه السلام: «مَنْ نَسِيَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ وَأَعْمَى قَلْبَهُ»[٣].

(١) مرّ الحديث في كلام سماحته في النقطة الرابعة من (فضل مجالس الذكر) وهو قول الإمام الصادق عليه السلام: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته..» الحديث.

(٢) الخصال: ٣٩/١، باب الاثنين، ح٢٣.

(٣) غرر الحكم: ٨٨٧٥

حقيقة الذكر:

قالوا: إن الذكر بمعنى الحفظ، إلا أن الاختلاف بينهما باللحاظ، فيقال الحفظ باعتبار إحراز المحفوظ، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره.

وأقول: إنه تارةً يراد بالذكر معناه المصدري فيكون معناه حضور الشيء في القلب أو على اللسان، وتارة يراد به المعنى اسم المصدري، فيعبر عن قابلية عقلية وقلبية بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة.

والمعنى الحقيقي لذكر الله تعالى هو حضوره في القلب والالتفات إليه لأنه الذي تتحقق به الآثار، أما حركة اللسان به فهي تعبير وكاشف عنه ومظهر ومبرز له، وليست ذكراً حقيقياً إلا من باب ذكر الدال وإرادة المدلول به، ولا تترتب الآثار المتقدمة عليه وحده.

أترى لو أن إنساناً كان له حصن يحميه من عدوه فهل يكفيه أن يكرّر: أعوذ بهذا الحصن من عدوي لحمايته من العدو إذا هجم عليه، أم المطلوب الدخول فعلاً في الحصن، وهكذا كل الأذكار لها حقائق تترتب عليها الآثار ولا يكفي مجرد لقلقة اللسان، كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة لرجل قال بحضرته: أستغفر الله، فعلّمه الإمام عليه السلام

حقيقة الاستغفار.

لكن الله تعالى بكرمه جعل ثواباً حتى على مجرد تحريك اللسان بالذكر وإن كان ليس ذا قيمة مقابل ما يقترن بالذكر القلبي، لذا لا ينبغي الالتفات إلى ما يقوله بعض الصوفية من أن الذكر باللسان دون حضور القلب لا قيمة له وتركه أولى، فهذا من تسويلات الشيطان؛ لأن لكل جارحة ذكراً، والذكر اللساني يحقق طاعة بمقداره ويصونه من استعماله في المعاصي اللسانية بمقداره أيضاً، وفيه إرغام للشيطان ولو بأدنى مستوياته فلا ينبغي تركه.

يقول السيد الشهيد الصدر الثانيقدس سره عن قيمة الذكر القلبي إنه «من أعظم الرياضات التي توصل إلى المدارج والمقامات التي فوقه بلطف الله سبحانه. وإن من أفضل أشكال الذكر القلبي هو استحضار مضمون الأسماء الحسنى ذات المدلول الطيب أعني ليس من قبيل (شديد العقاب) و (ذو الانتقام) ونحوها، بل نحو (العظيم) و (الرحيم) و (الحليم) و (الغفور) و (الشكور) وغيرها.

ثم التفكير في الخلق الذي يرجع إلى مضمون مجموعة أخرى من الأسماء الحسنى كالخالق والرازق والمدبّر والمنعم والمعطي والحنّان والمنّان ونحوها.

ثم التفكير في شأن الفرد أمام خالقه من القصور والجهل والذنب والتقصير وحسن الظن به تبارك وتعالى وكونه محل لطفه ونعمه وسبحانه ونحو ذلك»[1].

مجالس أهل البيت (عليهم السلام) من الذكر:

ومن حلق الذكر التي وصفتها الأحاديث الشريفة بأنها رياض الجنة: المجالس التي تعقد لذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام ومصائبهم، وللوعظ والإرشاد وتعليم أحكام الشريعة، عن الباقر عليه السلام قال: «إِلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُذْكَرُ عِنْدَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ فَيَرِقُّ لِذِكْرِنَا إِلَّا مَسَحَتِ الْمَلَائِكَةُ ظَهْرَهُ وَغُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا إِلَّا أَنْ يَجِيءَ بِذَنْبٍ يُخْرِجُهُ مِنَ الْإِيمَانِ»[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «شِيعَتُنَا الرُّحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، الَّذِينَ إِذَا خَلَوْا ذَكَرُوا اللَّهَ، (إِنَّ ذِكْرَنَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) إِنَّا إِذَا ذُكِرْنَا ذُكِرَ اللَّهُ، وَإِذَا ذُكِرَ عَدُوُّنَا ذُكِرَ الشَّيْطَانُ»[3].

(١) قناديل العارفين: ١٤٨.

(٢) سفينة البحار: ٢٠٧/٣.

(٣) الكافي، ج٢، باب تذاكر الإخوان، ح١.

الفهرس

أهمية السعادة:..... ٥
الفوز الحقيقي:..... ٦
السعادة في رحاب الله تعالى:..... ٨
الفصل الأول كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟..... ٩
كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟..... ١١
قلة المعصية في شهر رمضان:..... ١٣
فقرات دعاء الإمام السجّاد عليه السلام: ١٤
الفهم الصحيح للعيد: ١٥
الفرح والحزن للأسباب الأخروية:..... ١٨
الفصل الثاني العود إلى الله في العيد..... ٢٣
العود إلى الله في العيد..... ٢٥
كيف نخاطب الله تعالى؟ ٢٥
أصل كلمة العيد: ٢٧
الفرح في القرآن الكريم:..... ٢٩
كيف نحول الإيمان من النظرية الى التطبيق؟ ٣٠
لنرجع الى الله تعالى أيام العيد: ٣٢

محفزات للتطبيق: ٣٢
الفصل الثالث دعاء الندبة والعيد.. ٣٩
دعاء الندبة والعيد.. ٤١
لماذا نقرأ دعاء الندبة في العيد؟ ٤١
العيد الحقيقي: ٤٢
العيد والالتفات الى القيادة الحقيقية:... ٤٤
العيد والرغبة في الآخرة:.. ٤٦
الفصل الرابع مشاعر يوم العيد بين الخوف والرجاء ٤٩
مشاعر يوم العيد بين الخوف والرجـاء ٥١
مشاعر المؤمن في يوم العيد:.. ٥١
هدف الإنسان هو التقوى: ٥٢
من آثار التقوى:.. ٥٤
الصوم الحقيقي:.. ٥٦
قيمة العمل:... ٥٧
مقارنة يوم العيد بيوم النشور:.. ٥٨
تجديد الحزن لآل محمد صلى الله عليه وآله:.. ٥٩
الفصل الخامس العيد والمصالحة الحقيقية ٦١
العيد والمصالحة الحقيقية ٦٣
نحو معالجة العنف السياسي:... ٦٣

الإصلاح منوط بإرادة الأطراف المتصارعة: ٦٤
نصيحتي للسياسيين: ٦٥
العيد وشعيرة التواصل بين المؤمنين: ٦٧
الفصل السادس العيد يرسّخ ركني الإسلام كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ٦٩
معنى كلمة التوحيد: ٧١
العيد فرصة لتعميق التوحيد: ٧٢
العيد يذكرنا بالتقوى: ٧٤
ذكر الله تعالى في العيد: ٧٥
توحيد الكلمة: ٧٥
الفصل السابع كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد ٨٣
كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد ٨٥
موعظة: ٨٥
فللتقوى ركنان: ٨٦
معرفة الذنوب: ٨٨
لماذا يذنب العبد؟ ٨٩
كيف نحصل القدرة على اجتناب الذنوب؟ ٩٩
آثار الذنوب في الدنيا والآخرة: ١٠٣
والخلاصة: ١١١

العواصم من الذنوب:.. ١١٢
مكفّرات الذنوب:.. ١١٦
٢. القيام بالأعمال الصالحة والطاعات: ١١٩
٣. الصلاة في أوقاتها: ١٢٠
٤. الابتلاءات والمصائب والمصاعب في الدنيا: ١٢١
٥. رعاية حرمة شهر رمضان:.. ١٢٢
٦. الأمراض: ١٢٢
٧. الأحزان والهموم:.. ١٢٣
٨. إتيان المساجد: ١٢٣
٩. العفو والصفح عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم:................ ١٢٣
١٠. اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله والاستنان بسنته الشريفة في الأفعال والأقوال: ١٢٤
١١. إغاثة الملهوف: ١٢٤
١٢. كفارات خاصة:.. ١٢٤
١٣. حسن الخُلُق: ١٢٥
١٤. كثرة السجود:.. ١٢٥
١٥. الحج والعمرة: ١٢٦
١٦. افتتاح صحيفة العمل واختتامها بالخير:.......................... ١٢٦
١٧. الصلاة على محمد وآله: ١٢٧

١٨. سكرات الموت: ١٢٧
الفصل الثامن الذكر زينة العبد ١٢٩
الذِكر زينة العيد ١٣١
المعنى الحقيقي للتزين: ١٣١
معنى التكبير: ١٣٢
الذكر في القرآن الكريم: ١٣٢
معنى (ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ): ١٣٤
جزاء الذكر وآثاره وفضل مجالس الذكر: ١٣٨
جزاء الذكر وآثاره: ١٣٩
ومما ورد في كتاب الله تعالى:- ١٤٠
جزاء الذكر في الأحاديث الشريفة: ١٤١
خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في فضل الذكر: ١٤٥
من مصاديق الذكر الكثير: ١٤٦
خسارة الغفلة والإعراض عن الذكر: ١٤٧
الروايات المحذرة من الغفلة: ١٤٧
حقيقة الذكر: ١٤٩
مجالس أهل البيت (عليهم السلام) من الذكر: ١٥١